في بلاد الريف

الفصل الاول

في حدائق كنسجتون

جوّ مكفهر يمتزج لونه الرمادي بنور الشمس الساطع فيضيع في ثوبها القاني وهي تهم بان تغطس وراء الافق . برد قارص يتخلل الفضاء وينتشر فيه . اوراق صفراء تتساقط من الاشجار وتنتشر على وجه الغبراء . غدير ذو منظر موحش لا ترى حوله أحداً . مماش من العشب تمتد الى تمثال « سبيك » و « السربنتين » وهي مهجورة لا يكاد يطأها انسان . كل هذه المشاهد جعلت « سكستن بليك » وهو يتنزه في حدائق كنسجتون يشعر بان الشتاء قادم قبل اوانه . فسرّ لانه سيقضي بضعة الاسابيع المقبلة بعيداً عن انجلتره وجوها البارد المتقلب

ولما وصل بليك الى آخر الممشى الواسع خرج من الحدائق الى شارع كنسجتون واتجه نحو نصب البرت . ولكنه لم يكد يسير نحو اثنى عشرة خطوة حتى رأى سيارة فاخرة تقف بجانبه وسمع صوتاً معروفاً يناديه . فالتفت فرأى وجهاً يعرفه هو وجه صديقه القديم السير فرنسيس ترانت وكيل وزارة الخارجية . ففتح السير ترانت باب السيارة وقال له :

ماذا تعمل هنا يا بليك ؟

فاجابه بليك : لا شيء

قال : أتتعقب احد اللصوص ؟

قال : كلا وانما انا اتنزه ليكون عندي شهية للغذاء

قال : أتريد ان تركب معي ؟

فتردد بليك قليلا لانه كان يؤثر المشي على الركوب . ولكنه ركب الى جانب صديقه فاخذت السيارة تجري بهما سريعاً . فوضع السير فرنسيس نظارته على عينيه ونظر الى ساعته وقال :

اذا لم يكن عندك مانع فسانزلك في ميدان هاملتون وأذهب رأساً الى وزارة الخارجية لانني منتظر رسالة برقية من الهند . وكنت قد ذهبت الى اكسفورد لارى ابني فوجدت ذلك العاق مديوناً مرة أخرى وعليّ ان احل كيس النقود لاسدد ديونه . ولكن ما العمل ؟ ان الاولاد هم اولاد ويجب أن لا انسى ذلك

فتبسم بليك وقال : ولا انا انسى

قال : انني لم اراك منذ بضعة أشهر . فهل كنت مشغولا ؟

فاجاب بليك : نعم ... مشغولا جداً . وأنا في حاجة الى تغيير الهواء . وساغيره ان شاء الله بعد مدة قصيرة . فبعد يوم أو يومين اسافر الى مصر

فقال السر فرنسيس : ما أعظم حظك . أنزهة فى البحر المتوسط ؟

فاجاب بليك : شغل ونزهة . فانا ذاهب الآن الى مرسيليا براً ومن هناك اركب البحر واتوجه الى القاهرة لاحصل على بعض البيانات السرية من وكالة مالية فيها . وذلك لا يستغرق وقتاً طويلا

فقال السير فرنسيس : وبعدما تنتهي من ذلك تستقل باخرة وتسافر على النيل للنزهة

فهز بليك رأسه وقال : لن أفعل ذلك فى هذه المرة . فقد سافرت في النيل صعوداً ونزولا مراراً عديدة ووصلت الى ما بعد دنقلا . أما رحلتي فى هذه المرة فلن تستغرق إلا يوماً واحدا وسيكون « تنكر » معي ونحن عازمان على سياحة طويلة في اسبانيا نبدأ بها من برشلونه التى سنذهب اليها رأساً من مصر فى ٢٥ اكتوبر الحالي أو حوالي ذلك التاريخ ونبقى يوماً واحداً فى تلك المدينة . ثم نطوف بالبلاد على مهل فنصل الى طليطلة فى ٣٠ منه . وبعد ما نمكث في طليطلة بضعة أيام نذهب الى مدريد عاصمة اسبانيا فنقضي فيها اسبوعاً واحداً ومنها نعود الى هنا عن طريق باريس

فقال السير فرنسيس : انى أحسدك يا بليك فياليتنى كنت قادرا على السفر معك لانى فى غاية الاحتياج الى الراحة . ولكن لاسبيل الى ذلك الآن . فان لدي في وزارة الخارجية اموراً كثيرة تشغل البال . وانت تعلم أن جرائدنا الكبيرة تقذف بالمراسلين الى كل جهة في العالم وهؤلاء يتعرضون لما لا يعنيهم فيقدحون في الحكومات الاجنبية ويزعجونها بما يرسلون الى جرائدهم او يكتبون عند عودتهم فيخلقون لنا من المشاكل انواعا . والخطر كل الخطر فى استعمال الجد . ويمكنني أن اتصور ما ستكون الشكوى القادمة . فان فينياس كينوس سيذهب الى اميركا من قبل جريدة « صنداي كوميت » ويقابل شيخ هنود الكيكانو الثائرين ثم يعود بكتاب من الشيخ الى جلالة الملك يلتمس به منه أن يطلب الى « الشيخ الابيض الكبير المقيم بواشنطون » ليسمح للقبيلة بان تقطع كل سنة عدداً معلوماً من رؤوس الاهالي

وقد يذهب بول براي من قبل جريدة « القال والقيل » الاسبوعية الى الصحراء فيدخل

وهو في زي امرأة حرم سلطان الصحراء ويكتب مقاله منسقة عن استياء اولئك السيدات لان زوجهن وسيدهن لا يسمح لهن بان يطلين فساتين من شارع دوفربلندن أو من شارع ده لابيه بباريس لاعتقاده انهن يجب ان يكتفين بالخرز والخلاخل

وقد يذهب روبير ركليس من قبل جريدة « متيور » اليومية فيوقد نيران الثورة في احدى جمهوريات اميركا الجنوبية ويشرح لجريدته على لسان البرق شدة تأثره وانفعاله حينما كان الرصاص يتساقط حوله كالبرد

ويذهب ترومان تروعن جريدة « ايفننج ستار » فيزور عصابات كالابريا في معاقلهم بالجبال ثم يستفز الشعب الانجليزي بما يكتبه في جريدته عما تقاسيه تلك العصابات من مطاردة الجنود الطليانية لها ومنعها من ...

ثم اخذ السير فرنسيس يضحك من النكت التي قالها وضحك بليك أيضاً معه . ودخلت بهما السيارة الى زاوية هايد بارك فوقفها السائق في ميدان هاملتون وفتح بليك باب السيارة ونزل منها وهو يشكر السير فرنسيس . فقال له هذا : لاحاجة بك الى الشكر وأنا اتمنى لك سفراً سعيداً فالى الملتقى . ثم افترقا واخذت السيارة تخترق الشوارع ونسي السير فرنسيس ترانت صديقه وأخذ يفكر بما عليه من التبعات العظيمة ولكنه تذكر بعد ذلك كل كلمة قالها له بليك .

الفصل الثاني

كتاب دكس والس

انتهى الفطور في شارع بيكر قبل ميعاده لان اليوم كان يوم السفر

فكانت الامتعة حاضرة « وتنكر » واقفا يتأمل في الذكريات القديمة من الاوراق الملصقة على الامتعة

وجلست مسز باردیل في كرسي كأنها منهوكة القوى وقد وضعت يديها في حجرها وربض الكلب بادرو على السجادة مدلياً اذنيه وفي عينيه الكبيرتين علامات الكآبة كانه أدرك أن سيده والغلام مسافران وانهما لن يأخذاه معهما .

وكان ساعي البريد قد أحضر قبل هنيهة نحو ستة كتب لسكستون بليك فوقف يقرأها واحداً واحداً حتى اذا انتهى منها وضعها في جيبه والتفت الى صاحبة النزل وقال : لقد عرفت الاوامر فاجتهدي أن تقومي بها

فاجابته : حسنا يا سيدي . سأعطي بادرو كل يوم طعامه قطعة من اللحم وأترك باب الحوش موصداً ولا أدع انساناً يدخل غرفتك أبداً الى غير ذلك مما اوصيتني به . والآن أفانت ذاهب الى أرض الفراعنة ؟ الى البلاد التي لا أعرف لماذا يدعونها بذلك الاسم الردىء . بلاد القمار ؟ أيمكنك وأنت هناك أن تأتيني بورقة بردي من قبر توت عنخ آمون ؟

فاجاب بليك : بكل تأكيد يامسز باردیل . لن أتيك بورقة واحدة فقط بل برزمة كبيرة فقالت : وبصورة من صور الملكة كليوباترة التي كانت تضرب على العود وقد خبأت الافعى في صدرها وهي صاعدة في مياه النيل الفضية ومرقس انطونيوس جاث عند قدميها والمظلات القرمزية تظلل رأسها

فقال « تنكر » : أولا تريدين أيضاً مومياء تضعينها في المطبخ لتذكرك بأحد أزواجك المتوفين ؟

وقال بليك : وتكون رفيقة لك تدفع عنك الوحشة واذا ألبستها ثوب شرطي وخوذته خافها اللصوص وأمنت أنت شرهم ؟

فقالت : وما الذي تعنيه بي وبالشرطي ؟ انك تهينني يا سيدي كما أهانني المستر تنكر بقوله انه كان لي أزواج تشبه المومياء . قد تكون ياسيدى بوليساً سرياً ذا سمعة رديئة وأنا لا أقول انك لست كذلك . لكن السمعة الرديئة هي كالاحسان تبتدىء بالنفس . فماذا يقول الناس الذين يحترمونك اذا عرفوا انك تنطق بأقوال تهين بها أرمله وحيدة تخدمك بالأمانة وتلبي كل اشارة وطلب لك حالا ؟

فقاطعها بليك وقال : اسرعي الى التلفون واطلبي لي سيارة

وقال تنكر : نعم عجلي بذلك

واذ ذهبت الى التلفون مدّ بليك يده الى جيبه وأخرج منه كتاباً أعطاه الى الغلام وقال : اقرأه فلعله يثير اهتمامك

فقرأه تنكر مايأتي :

عزيزي بليك ـ لما التقينا منذ أسبوع فى النادي أخبرتني بأنك مسافر قريباً الى مصر في مهمة وانك ستعود عن طريق اسبانيا وتقف في طليطلة وانك تصل الى هناك حوالي ٣٠ أكتوبر

اتذكر اليوم الذي تغدينا فيه معاً منذ سنة في شارع بيكر ثم ذهبنا الى ميدان مانشستر ثم الى متحف والس . أتذكر انك رأيت هناك سيفاً قديماً من سيوف طليطلة فأعجبك كثيراً

وقلت انك تود كثيراً لو حصلت على واحد مثله لتضيفه الى مجموعة الأسلحة التي عندك ؟ فمتى وصلت الى طليطلة فاذهب الى سيباستيان رويز تاجر الانطيكات (ومحله في ممر السوق التجارية) واذكر له اسمي فيريك سيفاً من أبدع ماصنع ويرجع تاريخه الى بضع مئات من السنين وهو أدق وأجمل بكثير من السيف الذي رأيته في متحف والس . لقد شاهدته أنا نفسي حينما كنت في طليطلة من عهد قريب . وهو غالي الثمن جداً ولكنني أعرف انك مستعد أن تدفع أي ثمن فيه اذا رأيته . انها فرصة نادرة يجب أن لاتضيّع . وفي الختام أقبل مزيد احترامي وأنا أتمنى لك سفراً سعيداً

صديقك المخلص

دك والس

وكان دك والس هذا من أشهر الصحافيين وأقدرهم وهو صديق قديم لبليك وتنكر وكثيراً ما شاركهما في حوادث غريبة في البلاد المتوحشة . وكانت له قبلا علاقة شغل مع جريدة « مركري » ثم التحق بجريدة « الدايلي يونيفرس » وهي أشهر جرائد لندن

وكان أيضاً لغوياً ماهراً يعرف العالم جيداً كما يعرفه بليك ولا يباريه في الفروسية والصيد مبار . واذا قاتل ظننته أسداً

ولم تقف مواهبه عند ذلك الحد ولا عند خطه الجميل بل كان أيضاً مصوراً ماهراً بريشته وقلمه وآلته الفوطغرافية .

قرأ تنكر الكتاب ثم التفت الى بليك وقال : لقد أحسن بالكتابة اليك والاشارة الى السيف رأظن انك سوف تشتريه . أليس كذلك ؟

فهز بليك رأسه علامة الايجاب وقال : نعم اذا كان لايزال في خوزة سباستيان رويز . فمنذ مدة طويلة أريد أن أحصل على . . . . ثم توقف وقطب حاجبيه وقال : ما أغرب ذلك ..

فقال تنكر : ماذا ؟

فأجابه : كتاب دك والس . ففي الاسبوع الماضي كنت معه في النادي وحدثته نحواً من نصف ساعة فلم يذكر لي شيئاً عن هذا السيف ولا انه كان في طليطلة منذ عهد قريب مع اني قلت له انني ذاهب الى هناك بعد وقت قصير

فقال تنكر : ربما كنتما تتحدثان عن أمور أخرى الهتكما بها

فأجابه بليك : كلا . أتذكر جيداً انني ذكرت له نصال طليطلة فلم يبد أقل اهتمام بها ومع

ذلك فهو يكتب لي الآن ويلحّ عليّ أن أمرّ على محل سيباستيان رويز . ترى ما الذي ذهب به الى طليطلة ؟ لا أظن ان جريدة « اليونيفرس » أرسلته الى هناك فانها لم تكتب شيئاً عن أسبانيا

وعند ذلك وصلت السيارة . فقال تنكر : هيا بنا يا سيدى فلا نتأخر أكثر من هذا فخرجا من الغرفة كل يحمل كيساً ونزلا السلالم وسمعا الكلب يدمدم وراءها

ثم ركبا السيارة فأخذت تجرى بهما ومسز باردیل واقفة تلوّح لهما بمنديلها ونباح الكلب يتبعهما

وكان بادرو ينظر اليهما من شباك في الطبقة العليا وقد التصق رأسه الكبير بلوح الزجاج ورجلاه بعتبة الشباك وهو ينبح نباح مكتئب حزين .

فقال بليك : مسكين هذا الكلب فسيبقي وحيداً مدة ستة أسابيع

ولكن سكستن بليك كان غلطاناً فى حسابه هذا ولم يدر قط بخلده انه ستنقضى مدة أطول من ذلك بكثير قبلما يعود هو وتنكر الى انجلتره بوجهين قد لوحهما جو أشد حرارة من جو اسبانيا وقد قاسيا من المهالك مالا يوصف وشاهدا من الحوادث الغريبة والأخطار ما لم يخطر لهما على بال

القصة

الفصل الاول

(يوم فى برشلونه . على الطريق الى طليطلة . تاج اسبانيا . بليك وتنكر يزوران دكان بائع الانطيكات . السيف . سيباستيان رويز يعطي بليك ظرفاً مختوماً . في فندق كاستلا . دعوة سرية . ما المقصود منها)

فى صباح يوم ٢٦ اكتوبر عند الفجر كان بليك وتنكر واقفين على ظهر السفينة « ميرادور » من شركة البواخر الاسبانية يرقبان شيئاً كالسراب ذا لون لؤلؤي أسمر عائماً فوق مياه البحر المتوسط الزرقاء

وكان ذلك السراب مدينة برشلونه ثانية مدن اسبانيا المشهورة ببناء السفن ومصانع الحديد . ولما أخذت السفينة تقترب منها والغزالة ترفرف أجنحتها لتبرز من خبائها تحول السراب الى لون ملتهب فبانت الجدران بيضاء والسقوف حمراء يتخللها قطع خضراء سندسية

وكان الدخان يتصاعد من المداخن ولكنه لايجلق في الجو ولا يسقط على الارض لأن برشلونة وان تكن مدينة صناعية فليس فيها قتام ليدز أو شفيلد أو برمنغام

وبعد قليل رست السفينة فنزلا منها . وبيناهما يجتازان الممر قال تنكر : بما اننا قد شاهدنا من قبل كل مايستحق المشاهدة هنا فلا أرى داعياً لتأخرنا كثيراً

فأجابه بليك : لن نتأخر أكثر من بضع ساعات فان هنالك أماكن تجذب النظر أكثر من غيرها

وكانت الساعة اذ ذاك الثامنة صباحاً فأخذا أمتعتهما الى نزل « جراند كونتنتال » في ميدان كاتالونا حيث اكلا شيئاً من الطعام وخرجا الى المدينة ففضياهنيهة فى « سال ده فرناندو » يشاهدان الدكاكين الجميلة ثم انتقلا الى سال ده بالاتر حيث صاغة الذهب والفضة . ثم عرجا على سوق الازهار يستنشقان رائحتها العطرية واتجها منها الى المتنزه الجديد فى « راملبا » وهو يشبه متنزه « انتر دي لندن » في مدينة برلين وعلى جانبيه صفان من الاشجار الغضة الباسقة . ثم دخلا البارك من شارع تظلله اشجار كبيرة تشبه اشجار السنديان . وبعدما تغديا فى مطعم هناك عادا الى النزل فأخذا امتعتهما وركبا سيارة اقلتهما الى المحطة . وفي الساعة الثالثة غادرا المدينة متجهين غربا

كان الشغل هو الذي اخذهما الى القاهرة فلما فرغا منه بدت ايام عطلتهما أو نزهتهما الحقيقية . ولم يريا داعياً الى الاستعجال بل أرادا أن يتبعا عادة السياح فيصرفا يوماً هنا ويوماً هنالك ليشاهدا بعض المدن غير المطروقة المنعزلة في قلب البلاد . ولما خرج القطار من ضواحي المدينة وضع بليك كتاب الدليل الذي كان يقرأه جانباً واشعل غليونه ثم أخذ يتأمل في المناظر الجميلة التى أمامه من نافذة القطار وهو صامت لاينبس ببنت شفة فالتفت اليه وخاطبه قائلا :

بماذا تفكر ياسيدي

فأجاب بليك : في كتاب دك والس

* * *

وفي ٣١ اكتوبر أي بعد خمسة أيام من مبارحتهما برشلونه وصلا الى طليطلة الجميلة التى

يسميها اهلها تاج اسبانيا لانها رابضة على قمة جبل عظيم يرتفع نحو الفي قدم عن سطح البحر ويلتف حوله نهر التاجس الجميل الذي يخرج من نقرة في الجبال الصوانية ويندفع في سيره فيفصل كلا الصخر والمدينة التى فوقه عما حولها من البر الا من قطعة من الارض ضيقة قد قامت فوقها الاسوار والابراج المغربية لحماية المدينة . ذلك لان طليطلة بقيت ثلاثة قرون ونصف قرن يحكمها المغاربة ولا تزال آثارهم تشاهد في كل مكان الى الآن

ومع أن شوارعها غير منتظمة واكثرها معوجة ومرصوفة رصفاً رديئاً ففيها ما يحببها الى الناظر ويسره . أما الدور والبيوت بالمعنى المعهود فى البلدان الاوربية فقليلة جداً

والاسر الاسبانية القديمة قصور خاصة وجميعها مبنية على الطراز المغربي أي ان فى كل منها فناء كبيراً محاطا بالاروقة كما هي العادة في البيوت الشرقية القديمة

ومع أن مدينة مدريد العاصمة واقعة على مسافة قصيرة الى الشمال وهي كثيرة الحركة والضوضاء فان السياح يفضلون عليها طليطلة لان فيها رائحة الاجيال الغابرة وفيها كثير مما يهتم السياح بمشاهدته . من ذلك الكاتدرائية الجميلة والمسرح المربع العظيم ومعمل السلاح الذي تصنع فيه سيوف الجيش الاسباني حتى هذا اليوم . تلك هي المدينة التى احبها بليك وتنكر وكانا قد شاهداها من قبل . وعند وصولها الى محطتها اخذا مركبة وذهبا الى نزل كاستيلا فابدلا ثيابهما واستحما ونزلا من غرفتهما الى قاعة الطعام حيث تناولا غداءهما بشهية عظيمة . ثم قضيا نحواً من ساعتين في الحديقة التى فى مؤخرة الفندق تحت ظلال النخل والرمان والبرتقال والليمون

ولما ابتدأ النسيم يهب من ناحية الجبال ويلطف حر النهار تركا الفندق وقصدا الى محل سيباستيان روبز . وبينما هما سائران قال تنكر :

انني لا أتذكر اسم هذا الرجل مطلقاً

فاجاب بليك : ولا أنا ومن المحتمل اننا لم نعثر على محله في زيارتنا السابقة

وبعد قليل وصلا الى « سوق التجار » واشتريا من بائع تبغ هنالك لفائف برازيلية . ولما سألاه عن محل سباستيان ارشدهما الى ممر لم يخطر ببالهما أنهما شاهداه من قبل

وكان الممر ضيقاً لم يقدرا أن يسيرا فيه معاً الا بمشقة . وبعد أن سارا في تعاريج ومنعطفات مظلمة وصلا الى المحل الذي كانا يطلبانه وهو في كنف جدران عالية موحشة فوجدا الباب مفتوحاً فاجتازا العتبة فوجدا انهما فى دكان مظلم لا شباك له منار بقنديل معلق في السقف وفيه كثير من الآثار القديمة وفي مؤخرته ستار ظهر من ورائه حينما دخلا رجل نحيف القامة حليق

الشاربين ذو شعر ابيض وسحنة سمراء ويكاد يكون هو نفسه اثراً قديماً . ولما رآهما تقدم اليهما وهو يفرك يديه النحيلتين وقال لهما بالاسبانية : نهاركما سعيد يا سيدي

وكان بليك يتكلم وهو يحدق بنظره الى الرجل . على أن سيباستيان لم يبد أقل علامة للدهشة أو الاهتمام بل أجاب : انني أعرف السنيور والس فانه أحد زبائني

فقال بليك : ان والس أخبرني أن عندك للبيع سيفاً ثمينا من صنع طليطلة يرجع عهده الى مئات من السنين

فاجاب رويز : نعم يا سنيور وهو سيف لا مثيل له الا في المتاحف

فقال بليك: أريد أن أراه فانني ابحث عن سيف كهذا لمجموعتي. فاسرع سيباستيان واحضر سيفا ملفوفا بقراب لين من الجلد . ثم استله من القراب وأرى بليك وتنكر سيفا كانه الفضة اللامعة وهو من أدق ما صنع

فنظر اليه بليك مدهوشا وقال : حقا انني لم أر له نظيرا إلا سيفا واحداً

فقال سيباستيان : صدقت يا سنيور فانه من أدق ما صنع وهو قديم جداً وترى تاريخ صنعه منقوشاً عليه ـ سنة ١٤١٦ . لاحظ سقيه ومرونة فولاذه . ولا أبالغ اذا قلت لك أنه يمكن لفه كأنه زنبلك الساعة

فقال بليك : لا اشك في ذلك وربما تتذكر ما قاله فالستاف الشهير عن سيوف طليطلة اذ وصفها وصفا بليغاً

فتبسم سباستيان وقال : نعم اتذكر ما قاله فالستاف وقد كان رجلا بمعنى الكلمة واني في ساعات الفراغ أدرس شكسبير دأما

فقال بليك : وفالستاف عاش في الزمن القديم في قصر شاهدت خرائبه

فقال سباستيان : نعم ودافع عن قصره دفاع الابطال وربما بسيف مثل هذا ياسنيور . وأنا أؤكد لك انك لن تجد له مثيلا في المدينة

فقال بليك : انه جميل وقديم وأريد ان اشتريه فكم ثمنه ؟

فقال سباستيان : يصعب عليّ أن افارقه فانه أعز شيء عندي ولكن التجارة تجارة يا سنيور فثمنه ثلاثة آلاف بستا

فاجابه بليك : هذا مبلغ كبير يزيد على مائة جنيه انجليزى

فقال سباستيان : ولكن تأمل في قدمه يا سنيور فانا لا يمكنى بيعه باقل من ذلك

فقال بليك : حسن . رضيت بذلك . هاك الثمن فارسل السيف الى عنواني هذا في لندن انما أمن عليه ولفه جيداً وارسله بالبريد. فاجابه سباستيان: بكل تأكيد ياسنيور . وسأرسله ضمن علبة فاحترس حينما تفتحها لانه سيكون ملتفاً من مقبضه الى رأسه

وبعد ما قبض سباستيان الثمن وأخذ بطاقة بليك بعنوانه فى لندن ووعده بان يرسل السيف الى العنوان المذكور بعد يوم او يومين التفت صاحبانا ليخرجا من الدكان فوقفهما سباستيان قائلا : قفا قليلا يا سيدي. ثم ذهب الى خلف الستار وعاد وبيده ظرف أبيض مختوم بالشمع فدفعه الى بليك وقال له : هذا لك ياسنيور

فدهش بليك لذلك . ومع انه اشتبه وهو آت الى الدكان بان لكتاب دك والس معنى غير الظاهر اعتقد وهو يتكلم مع سباستيان عن السيف ان اشتباهه كان وهماً سخيفاً . لكنه تحقق الآن ذلك . فنظر الى تنكر ووضع الظرف فى جيبه

ثم التفت الى صاحب المحل وسأله متى تلقى الظرف

فاجابه : منذ ثلاثة ايام

فقال : ومن اعطاك اياه

فاجاب : اعفني يا سنيور من الجواب فانى لا اقدر ان اقول لك ذلك والاحسن ان لا تسألني شيئا آخر

فقال بليك : فهمت . اشكرك كثيراً واستودعك الله

فاجابه : مع السلامة يا سنيور بليك. وارجو ان تشرفني بزيارة ثانية حينما تكون في طليطلة

فخرج بليك والغلام وعادا مسرعين الى فندق كاستيلا ودخلا غرفة حقيرة منفردة تتصل بغرفة نومهما . ففتح بليك الظرف واخرج منه ورقة صغيرة فيها ما يأتي بخط لم يشكا مطلقا انه خط دك والس :

« في اليوم الذي تتسلم فيه هذا الكتاب تعال ليلا فى الساعة الحادية عشرة الى قصر الدون جوس اميجو . وبما أن في سؤالك الغير عن موقع القصر خطراً فسأقول لك كيف تجده سر أمام الكاتدرائية . ثم فى « العطفة » الثانية الى الشمال ثم فى الاولى الى الشمال ايضا فتجد نفسك في سوق الحرير . ثم التفت فترى فى قمة الشارع بوابة في جدار . دق الجرس وانتظر . واحترس فى حركاتك حتى لا يتبعك احد »

فنظر تنكر الى بليك وقال : قسما بكل مايدهش . انهم يروون لنا حوادث الغرام الاسبانية. فهذه احداها يتلوها علينا هذا الكتاب

فأجابه بليك : هذا ما كنت أنتظره . عرفت ان لدك والس قصراً خفياً غير الذي ذكره عند ايصائه اياى بالذهاب الى دكان سباستيان

فقال تنكر : لاشك انه في طليطلة مقيم في قصر الدون جوس اميجو ممثل احدى الأسر العريقة فيجب أن نحترس جداً ولا ندع أحداً يعرف اننا ذاهبان الى هناك فأمامنا مسألة قذرة ودك والس يطلب الينا أن نساعده على اختطاف ابنة الدون الجميلة . ولا ريب في ان للدون ابنة فالقصر الاسباني لايعدّ كاملا اذا لم يكن فيه فتاة جميلة

فأجابه بليك : لاتكن سخيف العقل

فقال تنكر : وما الذي تظنه يقصد ذلك ؟

فأجاب بليك : لا أعرف . يجب أن أتحقق . ولو ان والس ذو علاقة بمشروع سري و . . . . ثم سكت وهز منكبيه وقال : يجب أن ننتظر ونرى

الفصل الثاني

(الساعة الحادية عشرة . البوابة . الاصوات المنذرة بالخطر . في قصر الدون اميجو . منظر تمثيلي . خمسة رجال مقنعين . بليك يهدد . الرجال تذهب . الدون اميجو يعرفنا بابنته دولورس . ايضاحات غير مقنعة . ماهو السر . عود الى الفندق . تلغراف مدهش من لندن.)

بقي بليك وتنكر في الفندق بقية ذلك النهار ومسائه . وقبل حلول الميعاد المعين في الكتاب بعشر دقائق نهضا وخرجا من الفندق وأخذا يخترقان قلب المدينة ويلتفتان من وقت الى آخر الى الوراء . ولما وصلا الى سوق الحرير دقت ساعة الكاتدرائية الساعة الحادية عشرة فوقفا عند الزاوية والتفتا الى الوراء ليتأكدا ان لا أحد يتبعهما . ثم صعدا الشارع الضيق المرتفع . ولما وصلا الى قمته رأيا البوابة التي ذكرها والس في كتابه وفيها جرس لكنهما لم يحتاجا الى قرعه اذ وجدا البوابة غير موصدة

فاجتازا البوابة ودخلا الحوش الذي كان تعبق منه روائح الازهار العطرية . ورأيا على مقربة منهما القصر المغربي العظيم والانوار تسطع من شبابيكه وسمعا فيه صراخاً وجلبة

فقال تنكر : قسماً ان في الامر مافيه

فأجابه تنكر : أخشى أن تكون الحكاية قذرة

فقال تنكر : وهل علينا أن نشترك فيها ؟

فاجاب بليك : نعم . من غير ان نتردد . فربما كان دك والس في خطر

فاسرعا الى الامام وبعد أن سارا نحوا من عشرين خطوة وصلا الى مدخل القصر ووجداه مفتوحا . فوقفا عند الباب مستندين الى أغصان شجرة كانت هناك ونظرا فشاهدا منظراً تمثيلياً غريباً . رأيا قاعة عظيمة مرتفة يسطع النور فيها وفي وسط القاعة خمسة رجال مقنعين لابسين معاطف سوداء وعلى رؤوسهم قبعات كبيرة ناعمة وهم مسلحون بالسيوف وأمامهم شخصان ملتجئان الى الجدار أحدهما فتاة جميلة سمراء اللون ذات عينين سوداوين . والآخر رجل جميل الطلعة ذو شارب ابيض وعليه بذلة من القطيفة السوداء والدنتلة البيضاء كاشراف الاسبان القدماء الذين نراهم في تصوير فيالسكي

والى الوراء عند أسفل السلم الخشبي جماعة من الخدم في لباسهم الرسمي من الزي القديم وقد تولاهم الخوف والجزع . وكان بليك وتنكر ينظران جميع ذلك فيخيل اليهما أن المنظر غير حقيقي

أخيراً قال تنكر همساً : افي حلم نحن ياسيدي ؟ أليس ما نراه تمثيلا ؟ أليست هذه رواية ؟ رجال متفقون على مؤامرة وبطلة الرواية فتاة جميلة ومعها رجل شريف يدافع عنها والخدم واجمون قد عداهم الهلع

فاجابه بليك : ان الامر لاعظم خطراً وعلينا أن نعمل معها كلفنا ذلك

فقال تنكر : انني مستعد ولكنني لا أرى دك والس فياترى ـ

فقال بليك : صه يا بني . ودعني أصغي الى ما يقولون

وبينما كان الرجال المقنعون يتحدثون معاً بصوت منخفض اذا الرجل ذو اللحية البيضاء الذي لا بد أن يكون هو الدون جوس اميجو قد قطع حديثهم وصرخ وهو يرتجف غيظا قائلا : اخرجوا من بيتي لا فائدة من بقائكم فانه لا يمكنكم أن تعلموا شيئا مني ولا من حفيدتي !

وقالت الفتاة بكبرياء : نعم يا جدي لا يمكنهم أن يعلموا شيئا مني ولو قتلوني .

فهاج الرجال وماجوا وأخذوا يشتمون ويهددون . ثم جردوا سيوفهم وهجموا على الرجل والفتاة ولمس أحدهم بطرف سيفه صدر الدون اميجو وابتدأ يشتمه ويلعنه وقبض آخر على ذراع الفتاة وصرخ قائلا : أين الرجل الانجليزي ؟ قولي لنا والا فستندمين بعد فوات الفرصة

فاحمرّ خدا الفتاة حنقا وصرخت في وجهه قائلة : كيف نجرأ على أن نمشي ؟

ثم سحبت ذراعها منه بقوة وصفعته على وجهه . فارتد الى الوراء ورفع سيفه كانه يريد أن يغمده فى صدرها : فامتقع وجه الدون اميجو فدفع السيف عن صدره وهجم بسرعة على خصم حفيدته فضربه على سيفه ضربة شديدة ثم لطمه لطمة جعلته يترنح حتى وقع عند الجدار . ثم هجم على الباقين وكاد يقع على اطراف سيوفهم لولم تسرع الفتاة وتلقي نفسها بينه وبينهم ثم صرخت فيهم صرخة احتقار قائلة : يا لكم من شجعان نبلاء ! أكذا يكون الاسبان ؟ اقتلوني اذا شئتم ولكن اعفوا عن جدي ! ووقفت امامهم غير هيابة ولا وجلة كأنها تزدري بهم وتحتقرهم . فانزلوا سيوفهم ووقفوا صامتين

وعندئذ هرع بليك وتنكر فدخلا القاعة غير مبالين بالاخطار وقال بليك بالاسبانية بصوت عال :

عفواً ياسادة . يكفي ماعملتم . انا اعلم ان الامر لايعنيني لكنني انصح لكم ان تنصرفوا حالا فلم يجبه احد . اما الدون اميجو فاشرق وجهه سروراً بالنجاة وتقدم الى حفيدته فضمها بين ذراعيه . لكن الرجال وقفوا مبهوتين ينظرون الى بليك وتنكر بعيون تلمع من ثقوب قناعات رؤوسهم السوداء . وادرك بليك أن الرجال ليسوا من الرعاع بل من طبقة ممتازة وثيابهم تدل على منزلة عالية

ثم قال أحدهم : يظهر انهما انجليزيان

فاجاب آخر : نعم وأنا أعرفهما

فقال الاول : اذن لقد علمت ما اتى بهما الى هنا . يجب أن ـ

فاجابه الآخر : صه فقد فهت باكثر مما يلزم

أما بليك فوقف صامتا هادئا لا ينطق ببنت شفة : وكذلك الدون اميجو والفتاة

ثم اقترب الرجال بعضهم من بعض وتهامسوا هنيهة قصيرة قرروا فيها ما يفعلون . ثم أعمدوا سيوفهم والتفوا بعباطفهم السوداء وتقدم أحدهم فقال :

اننا ذاهبون يا سنيور سكستن بليك . ذاهبون من تلقاء أنفسنا . وليس خوفاً منك .

فأجابه بليك بلطف قائلا : لست أدعي أنكم ذاهبون خوفاً مني

فقال الرجل : ومع ذلك فنحن مستاؤون من وقاحتك . فهل تريد أن تعتذر ؟

فأجاب بليك : اعتذر ؟ كلا ...

(ستأتي البقية)

سيمنس

موتورات وجهازات كهربائيه

ماكنه للتنوير بالكهرباء ماركة سيمنس

مخصصه للمنازل الريفية

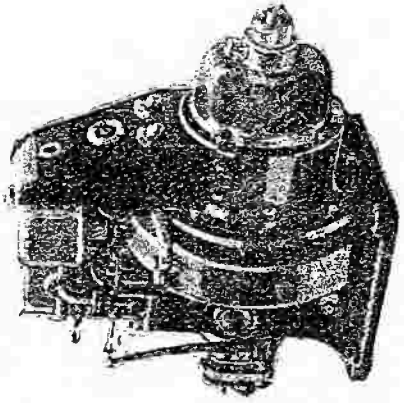

اطلبوا هذه الماكنه للتنوير بالكهرباء

لانكم بواسطتها يمكنكم الحصول على النور الكهربائي اينما شئتم . وهي من اقل وسائل التنوير نفقة واتمها دقة واتقاناً واضمنها راحة وطريقة ادارتها بسيطة جدا والمحل مستعد لأعطاء كافة التعليمات حين الطلب . شرفوا محلنا تجدوا ايضاً اعظم تشكيلة نجفات كهربائية ولمبات نقالى وجميع الادوات الكهربائية المخابرة مع

ا. برولمان وشركاه الكهربائيين

الفرع المصري لمحل شيمنس . شارع المغربى مصر . صندوق البوستة نمرة ٦٥٤

الاوراق المالية المصرية

الفرق بين اسعار اهمها فى شهر

	فى ٢٦ يناير سنة ١٩٢٦	فى ٢٦ فبراير سنة ١٩٢٦	
الموحد	٨٢ ٥/١٦	٨٢ ٥/١٦	جنيه
الممتاز	٧٢ ٥/٨	٧٢ ١/٢	»
البنك الاهلى	٣٣ ٣/١٦	٣٦ ٣/٨	»
« الزراعى	٨ ١/٢	٨ ١/٢	»
اسهم العقارى	٩٨٥	٩٥٢	فرنك
السندات الاولى	٥٥٢	٥٤٨	»
« الثانية	٣٤٦	٣٥٢	»
« الثالثة	٣١٩	٣١٠	»
السويس ٥ بالمائة	٤٧٦	٤٧٢	»
« ٣ «	٣٤٧	٣٥٦	»
هليوبوليس	٣٣٣	٣٣٨	»

المجلة الشهرية

فهرس الجزء الثاني (مارس) من السنة الثانية

صفحة		صور
١١٣	قياس ضغط الدم	٢
١١٨	انجلترا في فلسطين	٨
١٢٥	تأثير الطقس في الاجسام	
١٢٩	مخترعات اديسن المنتظرة	١
١٣٤	ترعة بناما	٥
١٤١	تاريخ الارض	
١٤٣	العلاج بالتطعيم	٢
١٤٨	المجاعة المنتظرة	
١٥٤	تصوير الوحوش في مغاورها	٥
١٦٥	جبل افرست	٢

صفحة		صور
١٧٣	المشعوذ طاهره بك	٣
١٧٦	فتح السودان وفتح الترام	
١٧٩	صور الاولاد	١٤
١٨٧	اسرار قلب زوجة	
١٨٨	اسئلة وأجوبتها	
١٩٢	المجهر	
١٩٣	آخرة الارض	
١٩٥	ثقل الهواء	
١٩٧	وفيات الاعيان	٢
٢٠٥	العالم في شهر	

فالمجموع ٢٠ مقالة و ٤٤ صورة

وليم وهبي مادرك ١٩٠٦

﴿ المطبعة التجارية الكبرى بشارع عابدين حارة فايد رقم ٣ تليفون ٦١٠٩ ﴾

في بلاد الريف

(٢)

فقال الرجل : حسن يا سنيور بليك . نحن لا نطلب منك أن تفعل ما لا تريد . ولكن دعني احذرك من التعرض لامور غيرك حينما تكون في اسبانيا . وانك لتحسن صنعاً اذا اصغيت الى نصيحتي وفعلت كما أقول لك

فهز بليك منكبيه ولم يجبه بشيء . ثم نزع الرجل المقنعون قبعاتهم وانحنوا بادب وخرجوا من القاعة الى الحوش ثم توارروا في الظلام

فالتفتت الفتاة الى بليك ورفيقه وابتسمت لهما ابتسام الشكر والامتنان . وتقدم الدون جوس اميجو فصافحهما ووجهه يطفح سروراً وقال : اذن لي الشرف انني اكلم السنيور سكستن بليك ومساعده تنكر . فاجابه بليك : نعم يا سيدي ونحن مستعدان لخدمتك

فقال الدون اميجو : لقد خدمتماني خدمة لا تقدر بثمن فانا اشكركما لاجلها . لقد خلصتماني من زوار غير مرغوب فيهم . ومن يعرف ماذا كانوا يفعلون في ساعة غضبهم لولا كما

فقال بليك : لا أظن انهم كانوا يؤذونك

فاجاب الدون اميجو : من المحتمل . فانه وان كان عملهم سيئاً فانهم ليسوا من الرعاع

فقال بليك : هذا ما لحظت وظن انهم .....

فقاطعه الدون قائلا : سنتكلم عن ذلك فيما بعد يا سنيور بليك . والآن دعني اعرفكما بحميدتي الآنسة دولورس وهي شمس بيتي وتعزيتي الوحيدة في أيامي الاخيرة

فاحمرت الفتاة حياء وارتسمت على وجهها الجميل ابتسامة لطيفة . ثم رفعت نظرها الى بليك وتنكر وشكرتهما بدورها على صنيعهما

ثم طلب الدون اميجو اليهما أن يتبعاه الى غرفة بعيدة عن القاعة التي كانا فيها

وكانت هذه الغرفة كبيرة ومفروشة على النمط الاسباني الذي تنقبض النفس منه . جدرانها مغشاة برسوم مزركشة وفيها مصابيح من زجاج مختلف الالوان ينبعث منها نور ضئيل

فجلس الدون وضيوفه الى خوان كبير وذهبت الفتاة فأخرجت من خزانة زجاجة فيها سائل ذهبي اللون وثلاثة كؤوس صغيرة ثم ملأت الكؤوس وخرجت من الغرفة باشارة من جدها

فرفع الدون اميجو الكأس وشرب ما فيها قائلا : ان عمر هذا الشراب قرن وقد حفظته لاحوال خاصة كهذه . ثم وضعها على الخوان وقال : لاريب يا سنيور بليك انك تريد ايضاحاً لما رأيته هذه الليلة فاسمع

ان صديقك السنيور دك والس هو صديقي منذ سنين . وكثيراً ما أقام في ضيافتي . فمنذ ثلاثة أيام حضر الى هنا بغتة وقص علي قصة غريبة وهي أن بعضهم هجم عليه في مدريد بقصد اغتياله وأنه يخشى من هجمة ثانية . وإذ كان يعرف انك ستكون في طليطلة حوالي الثالث عشر من هذا الشهر استصوب أن يطلب مساعدتك فكتب لك كتابا وأخذه الى دكان سباستيان تاجر الانطيكات لانه عرف أنك ستذهب اليه حينما تصل

ولم يخرج من القصر إلا في هذا المساء بعدما خيم الظلام فانه خرج ليذهب الى دكان سباستيان ليرى هل تسلمت الكتاب . لكنه عاد بعد فترة قصيرة وقال انه لم يذهب الى الدكان لانه لمح في محل قريب الاشخاص الذين كان يخشاهم . ومع اني عرضت عليه أن ارسل وأطلب قوة من البوليس للمحافظة عليه فانه رفض واصرّ على الذهاب من القصر حالا . ثم اسدل الظلام من مؤخر القصر ولم يمر على ذلك ساعة حتى دخل علينا اعداء السنيور وهم الرجال الخمسة المقنعون . ولما اخبرتهم انه قد سافر لم يصدقوني بل فتشوا القصر من فوق الى تحت وهددوني أنا وحفيدتي لنقول لهم ما نعرف عن الرجل الانجليزي . ثم حضرت انت . والسنيور تنكر فهذا كل شيء

فقال بليك : ليس هذا كل شيء فان هنالك اموراً كثيرة أود ان اعرفها . فما الذي اتى بصديقنا دك والس الى اسبانيا ؟

فقال الدون : انه اتى بمهمة سرية

فقال بليك : وما نوع هذه المهمة . ولماذا هجم الرجال عليه بقصد اغتياله ؟

فهز الدون اميجو رأسه وقال : يسؤني ان اقول انني قد وعدت السنيور والس ان لا افضي اليك ولا الى غيرك بما اسره الي

فسأله بليك : والى اين ذهب ؟

فقال الدون : ولا هذا أيضاً اقدر أن ابوح لك به . وكل ما يمكنني ان اقوله لك هو انه قد غادر طليلة في سيارة

فقال بليك : انها غباوة منه ان يقيدك بعهد كهذا بعد ما طلب مساعدتي

فقال الدون : اكد لي أنه في سلام وأنه لا يخشى شراً من اعدائه

فقال بليك : على الاقل قل لي شيئاً واحداً . هل كان الرجال المقنعون من الحزب الملكي في مدريد ؟ فتردد الدون اميجو هنيهة ثم قال : نعم انهم من الحزب الملكي

فقال بليك : من الصعب اذن أن يفلت دك والس من أيديهم فلاجل سلامته يجب ان تقول لي الى اين ذهب

فاجابه الدون : لا يمكنني أن احنث بوعدي وأنت انسان شريف تعرف ذلك

فلما رأى بليك أنه لا يقدر أن يعرف اكثر من ذلك أو أن يقنع الدون بان يحنث بوعده نهض هو وتنكر واستأذناه بالانصراف وخرجا وسارا يقطعان شوارع المدينة الهادئة وهما مذهولان مما رأيا وشاهدا . وبعد قليل قال بليك : ماوراء هذا يا ترى ؟ أمشروع شخصي اتى بدك والس الى هذه البلاد أم قد ارسلته جريدة « اليونيفرس » بمهمة سرية الى مدريد لاتمام عمل ما فاصطدم بالحزب الملكي . على أن والس لا يلقي بنفسه في تهلكة ولا يقدم على أمر مالم يتأكد سلامته ولا يتعرض لمسألة سياسية في بلاد أجنبية هي صديقة انجلترا لاجل سواد عيني « اليونفرس »

فقال تنكر : من المحتمل أن يكون قد وقع في غرام ابنة الدون اميجو الجميلة وله مزاحم من الحزب الملكي فيها

فقال بليك : ليس بعجيب أن يكون قد وقع في شرك غرامها . ولكن لا علاقة لذلك بهذه الحادثة السرية التي لاأعرف حقيقتها. ثم أن هنالك امراً واحد ظاهر ومع ذلك لايدلنا على شيء مطلقاً

فقال تنكر : وما هو ياسيدي ؟

فاجاب بليك : حينما تكلمت مع والس في النادي منذ كم يوم لم يكن ينوي المجيء الى اسبانيا على أنه حينما أرسل الي الكتاب الذي جاءني صباح سفرنا الى مصر عرف أنه سيكون في طليطلة حين وصولنا اليها

فقال تنكر : وعرف أيضاً انه ربما احتاج الى مساعدتك ولذلك ألح عليك كثيراً أن تذهب الى دكان سباستيان لتشتري السيف فانه قصد أن يترك لك كتابا هناك

فقال بليك : الامر كما تقول تماماً يا بني

ولما وصلا الى الفندق صعدا رأساً الى غرفة الجلوس المخصصة لهما ولم يكادا يجلسان حتى

قرع الباب فدخل أحد الخدم وبيده رسالة برقية الى بليك فدهشا . فقال الخادم : ليس عليها الا اسمك فقط يا سنيور ولـكن ساعي التلغراف بعدما سأل عنك في الفنادق الاخرى في المدينة اتى بها الى هنا . فأخذ تنكر يصفر . وبعد أن خرج الخادم قال : انها رسالة من البلاد الاجنبية ولا يمكن أن تكون من دك والس

فاشار بليك بالايجاب وقال : ان هنالك شخصاً ثانياً فقط يمكنه أن يرسل لي رسالة برقية الى هنا . ثم فتح الظرف وقرأ الرسالة بصوت عال وهي :

« لا تبارح طليطلة . انتظر الاخبار . الاوراق والارشادات في الطريق . الامضاء ترانت »

فقال تنكر : يا لله انها من السير فرنسيس ترانت . فهنا مسألة سرية أخرى

فهز بليك منكبيه وقال : ليست هي مسألة أخرى بل هي المسألة نفسها . ولا شك مطلقاً يا تنكر أن الرسالة تشير الى دك والس

فقال تنكر : بلا ريب . فانها لا تعني شيئاً آخر . مسكين دك يظهر أنه وقع في مشكلة مع الحكومة

فقال بليك : ليس ذلك ببعيد . ثم تمدد على كرسي كبير وقال لتنكر : انني سأدخن غليوناً قبلما أنام فاذهب انت ونم . فأجاب تنكر : انني ذاهب فانني تعب جداً . ولكن قل لي ياسيدي من هو الاسباني الذي عرفك في بيت الدون اميجو . أتعرفه ؟

فهز بليك رأسه وقال : كلا . انني أعرف كثيرين من اعيان الاسبان ولعلي التقيته في مدريد أو تعرفت به . في ناد أو مطعم أو دار تمثيل في لندن . فلا تهتم كثيراً بذلك يا بني بل ثق بانه لا خوف علينا من رجال الحزب الملكي اعداء دك والس ما لم نقف في سبيلهم مرة أخرى ـ الامر الذي لا أظن انه يحصل

الفصل الثالث

انتظار الاوامر ـ بناء صغير ـ شبح الريبة ـ الرزمة الموصى عليها ـ السر ينجلي ـ تعليمات السير فرنسيس ترانت ـ الذهاب جنوبا ـ في ميناء ملقا ـ اقتفاء أثر السيارة ـ التحريات غير المثمرة ـ السفر الى مراكش

مكث سكستن بليك وتنكر في طليطلة يومين وهما ينتظران . ولو انهما انتظرا أكثر من ذلك ما تذمرا لانهما قضيا اليومين مسرورين مبتهجين . فجابا كل زاوية من زوايا المدينة القديمة ودعاهما الدون جوش اميجو فتعشيا معه ومع الآنسة دولورس ولم تفتح قصة دك والس ولا

ذكر اسمه في ذلك المشاء . وزارا مصنع الجيش وذهبا في نزهة الى قصر مونتالبين وجبال طليطلة وكانا طول المدة يشعران بان آثارهما تقتفى . وفي صباح اليوم الثالث اذ كانا على اهبة النزول للفطور اذا أحد خدم الفندق قد اتى برزمة « موصى عليها » لبليك فأخذها وفتحها في غرفة الجلوس فوجد فيها عدة اوراق مختومة وكتابا من السير فرنسيس ترانت يقول فيه :

عزيزى بليك ـ يسؤني أن اقصر فسحتك . ولكن هنالك امراً يجب أن تساعدني فيه بلغني امس ان صديقك دك والس المندوب عن جريدة « اليونفرس » قد غادر لندن منذ نحو اسبوع قاصداً ميناء مليلا (في مراكش الاسبانية) عن طريق اسبانيا ومدريد وسيذهب من مليلا الى بلاد الريف ويصل الى مركز القيادة العام لعبدالكريم القائد المغربي الشهير . وقد بلغني ايضاً أنه يحمل أوامر رسمية مشددة تقضي بمنع كل مامن شأنه تأخيره . وان هذه الاوامر حصل عليها بواسطة صاحب « اليونيفرس » . ولما ارسلت واستدعيت الشخص الاخير اكد لي أن والس قد ارسل الى بلاد الريف للرسم والتصوير وكتابة مقالات محايدة فقط

قد تكون تعليماته كذلك . ولكن انا اعرف دك والس جيداً وحبه للخصام والمجازفة وأخشى ان يغرى فيظهر في المقالات التى يكتبها عطفاً على الريفيين فتتأثر العلاقات الحسنة التى بين حكومة جلالة الملك والحكومة الاسبانية . انت تعرف جيداً الحال في تلك البلاد . فالحزب الملكي مصمم على مواصلة الحرب الى ان يلقي الريفيون سلاحهم ويخضعوا . والحزب الثاني العظيم يلح في طلب الصلح مهما كلف ذلك وينادى بوجوب انهاء الحرب على شروط يرفضها الحزب الملكي رفضاً باتاً

لاريب في انك موافق عن ما ارتايه . فمن الجهة الواحدة ترى الريفيين يحاربون ببسالة عدواً قوياً لاجل استقلالهم مع ان الدافع الاعظم لهم على ذلك هو حبهم الغريزى للحرب والنزال وليس الحرية . ومن الجهة الثانية ترى الحكومة الاسبانية على حق تام في المحافظة على حدودها في مراكش الاسبانية

لو فرضنا أن احدى مستعمراتنا الصغرى كنيجيريا أو الساحل الذهبي اجتهدت ان تلقي نير الامبراطورية البريطانية عنها فانجلترا تحارب الى آخر رمق للمحافظة على املاكها

ولكنني قد خرجت عن الموضوع . فانا لا أمس حرية الصحافة ولا أقدر ان امنع مدير « اليونيفرس » من نشر اي مقالة يرسلها اليه مكاتبه

لذلك اريد ان تقتفي اثر والس ولو الى معسكر عبدالكريم . واذا لحقت به فبين له الحال

واقنعه بان يعود معك . قل له انه لا يجوز أن يبقى في بلاد الريف مهما يكن قصده وقد لاتحتاج الى ان تسافر الى مراكش لانني لا اعرف شيئاً عن حركات دك والس . وهو وان يكن قد سافر ومعه الاوراق الرسمية التي ذكرتها فمن المحتمل أن الحزب الملكي سعى فوقفه في مدريد أو في محل ابعد من ذلك جنوبا . وعلى كل حال اذا ثبت لك انه قد عبر البحر المتوسط فاتبعه مقتفياً اثره . والاوراق المرسلة مع كتابي هذا هي كاملة تفي بالغرض تماماً وقد اخذتها من السفير الاسباني في لندن ولا أظن ان احداً يعارضك

قد لا يصل الى يدك كتابي والاوراق ولا الرسالة البرقية . مع انني ارجو ان تصل جميعها وعلى كل حال اذكر انك قلت لي انك ستكون في طليطلة حوالي ٣٠ من الشهر الحالي وانك ستمكث هناك بضعة أيام لذلك ارسلت رسالتي البرقية في يوم ٣١ منه

لقد اوضحت لك كل شيء . فاهمية المسألة هي من الوجه السياسي ولا أظن انه يحصل ضرر خطير اذا فشلت في مهمتك . ولكنني اعتقد انه اذا كان دك والس قد وصل الى بلاد الريف فيمكنك ان تجده وأن تعود به . سجل نفقاتك على وزارة الخارجية ولا تهتم بان تكتب أو ترسل الي رسالة برقية واقبل مزيد احترامي ؟

المخلص

ترانت

قرأ بليك الكتاب لتنكر بصوت عال وعند فراغه منه أجابه انه فهم كل شيء واتضح الامر لهما فعرفا سبب ما حدث في قصر الدون جوس اميجو . ذلك أن بعض المنطرفين المتحمسين من الحزب الملكي علموا بمهمة دك والس وهو في مدريد فاجتهدوا أن يمنعوه من الوصول الى مراكش الاسبانية

وتفاوض بليك وتنكر في الامر فرأيا من الواجب أن يكونا في خدمة السير فرنسيس ترانت لانهما كانا مرتبطين بديوان الوزارة الخارجية ولو عن طريق غير رسمية .

ثم قال تنكر : أود أن أعرف هل نجا دك والس من أعدائه الملكيين ؟

فاجاب بليك : قد نجا منهم على ما اظن فقد أفلت منهم مساء الثلاثاء ولا ريب انه قصد أن يذهب بسيارة رأساً الى ملقا التي هي ميناء مليلا ولكن بما ان أعداءه يعلمون بمهمته فمن المحتمل انهم وقفوا هناك اذا كان لهم نفوذ كاف والا فهو الآن يعبر البحر المتوسط وقد صار على مقربة من الساحل الافريقي

ثم من المحتمل أيضاً أن يكون قد وقف في مليلا ولم يؤذن له أن يواصل سفره . وفي هذه

الحالة لا يعدم وسيلة للهرب من المدينة والذهاب الى حيث يريد . واذا وقفوه في ملقا فسيجد طريقة لعبور البحر المتوسط وانت تعرف اقتداره وسعة حيلته في احوال كهذه .

فقال تنكر : اذن يظهر انه لا بد من ذهابنا الى بلاد الريف .

فاجاب بليك : نعم يجب ان نسافر اليوم الى ملقا . ولكن يجب ان نتحقق أولا هل أن دك والس . . . لقد خطر لى ان . . .

وبعد ان توقف هنيهة قال وهو يضع الكتب والاوراق في جيبه : لقد خطر لي أنه من المحتمل ان نجد في طليطلة دليلا يساعدنا يا تنكر . فلنجرّب . . .

ثم نزلا الى غرفة الطعام . وبعد ما نظرا وعرفا مواعيد قطرات الجنوب تركا الفندق وخرجا فذهبا وزارا جميع المحلات التى تبيع أو تؤجر السيارات . ولكنهما لم يقفا على دليل . واخيراً وصلا الى مستودع صغير في شارع تانجييه صاحبه شخص أسمر اللون ذو لحية كثة اسمه جوان بلانكو واذكان هذا المحل أصغل محل من نوعه أيقن بليك ان دك والس قد أخذ سيارة منه . ومما زاده إيقانا تأكده من قبل ان الدون اميجو لا يقتنى سيارة. فحيا بليك الرجل وسأله بغتة:هل أجرت أو بعت سيارة لرجل انجليزي فى مساء الثلاثاء يوم ٣١ من الشهر الماضى ؟

فاجاب جوان بلانكو حالا وهو يرمق بليك بخبث : كلا يا سيدي .

فعرف بليك ان الرجل كاذب وادرك سرّ كذبه . فاخرج محفظته وأخذ منها ورقة بقيمة خمسين بستا ووضعها في يد الرجل . فاراد الرجل أن يردها ولكن بليك هزّ رأسه وقال : خذها وكن مطمئن الضمير فلن يصيبك اذى اذا قلت لى الحق عن الرجل الانجليزي فانه صديق لى وقد هرب من طليطلة لأن حياته كانت في خطر وانا أريد ان أجده لكى أساعده ولاشك انك قد رأيته .

فتردد الرجل هنيهة ثم قال : أحقيقة انك صاحبه يا ستيور ؟

فقال بليك : أقسم لك بشرفى انه صاحبى .

فأجاب جوان بلانكو : حسن اذن سأعلمك بصراحة وحرية . ان الرجل الانجليزى جاء الي هنا مساء يوم ٣١ من الشهر الماضي وقال لي ان حياته في خطر وجعلنى أعده بان لا أقول لاحد شيئاً عنه ثم طلب منى سيارة حالا . فبعته سيارة مستعملة دفع ثمنها نقداً وسافر .

فقال بليك : هل استأجر سائقاً ؟

فاجاب الرجل : كلا يا سنيور بل ذهب وحده

فقال بليك : قل لى نوع السيارة وصفها لى

فاجاب الرجل : هي سيارة فرنسوية صغيرة من صنع « بوتون ترافيل » ولونها أزرق غامق واسمر

فقال بليك : هل أخبرك صاحبي الى أين هو ذاهب ؟

فاجاب الرجل : كلا يا سنيور . لم يقل ذلك

فقال بليك : هل جاء أحد فسأل عنه ؟

فاجاب الرجل : نعم . في صباح يوم الاربعاء زارني رجل اسباني وسألني هل انى الىّ رجل انجليزي واستأجر منى سيارة فى الليلة الماضية واذ عرفت انه من اعداء الرجل الانجليزى أجبته : كلا .

فقال بليك : و كيف عرفت ذلك ؟

فاجاب الرجل : جاءنى وعلى وجهه علائم الغيظ والاهتمام وفوق ذلك فانى عرفته لانى كنت بعته سيارة منذ سنتين حينما كنت مديراً لمستودع سيارات مدريد . . . هو الكونت دي كوندى احد الملكيين . لذلك خدعته ولم اخبره بشيء

وبعد أن توقف قليلا قال : انني لا أحب الملكيين

فشكره بليك وخرج اذ عرف كل ما عنده بل اكثر مما كان ينتظر .

ثم قال وهو خارج من ذلك المستودع المظلم الى نور الشمس البهى : الكونت فيليب دي كوندى ! . . .

فقال تنكر : قد سمعتك تتكلم عنه مرة ..

فأجاب بليك : نعم . قابلته منذ ثلاث سنوات في حفلة اقامتها السفارة الاسبانية في لندن اكراماً لملك اسبانيا وملكتها . وهو شاب من الاشراف مهذب جميل

فقال تنكر : رهو أحد الذين أرادوا الاعتداء على حياة دك والس

فاجاب تنكر : عسى انه لم يكن منهم . وانا اعتقد انه لم يقع اعتداء كهذا ولعل الملكيين لم يقصدوا الا ان يخوفوا والس فيعود الى انجلتره . ان اكابر الاسبان شرسون ومتهورون ولكن على كل حال يجب ان لا نقلق أو نخاف على دك والس فقد ضلل اعداءه وجعلهم يعتقدون انه لم يستأجر سيارة ولا سافر بالقطار ولا بد ان يكونوا قد سالوا عنه في المحطة واذ لم يقفوا له على اثر زعموا انه لا يزال مختبئاً في مكان ما في طليطلة

فقال تنكر : وبينما هم يبحثون عنه هنا يكون هو قد وصل الى افريقيا

فاجاب بليك : وذلك ما أظنك تتمنى ان يفعله يا من تحب المجازفات

ثم عاد الى الفندق وبعد ما تغديا ركبا سيارة ونزلا الى محطة السكة الحديدية وفي الساعة الثانية بعد الظهر كان القطار يسير بهما جنوبا وهما في مركبة من الدرجة الاولى وحدهما

وكانت المسافة التي امامها طويلة والقطار يسير بهما بطيئاً وقد اضطرا ان ينزلا منه ويستقلا غيره مراراً عديدة .

. . . . . .

في الساعة التاسعة من صباح اليوم التالي وصل بليك وتنكر الى ميناء ملقا الآهل . وقد عزمنا ان يمكثا هنا يوماً أو اكثر لانهما يريدان ان يعبرا الى مراكش الاسبانية ما لم يتأكدا ان دك والس قد سبقهما اليها . ولم يكن لهما من أمل ان يعرفا ذلك حالا في مدينة كبيرة كهذه لكنهما لم يمكثا الا مدة قصيرة فقط . فانهما استأجرا سيارة وزارا نحو ستة مستودعات للسيارات قبل ان خدمهما الحظ اذ وجدا في المستودع السادس ما كانا يبحثان عنه وهو سيارة صغيرة من نوع «بوتون ترافيل» لونها أزرق غامق وعليها آثار السفر الطويل

فدخل بليك الى صاحب المستودع وبعد ان حياه سأله عن السيارة . فلم يخف عنه شيئا بل اجابه قائلا : ان رجلا انجليزياً أتى بها الى هنا منذ يومين أي صباح يوم الخميس الماضي . أما اسمه فلا أعرفه

فقال بليك ؟ هل باعك هذه السيارة :

فاجاب التاجر : كلا . لم يذكر لي انه يريد أن يبيعها بل أودعها عندي وقال انه سيعود اويأخذها حينما يرجع من مراكش فانه ذاهب ليمكث هناك شهرين

فقال بليك : ألم يقل لك شيئاً آخر :

فأجاب التاجر : نعم ياسنيور . قال انه وصل الى ملقا في مساء اليوم السابق ومكث في فندق وسيسافر الى مليلا بعد ساعة . وهكذا فعل . فان صبياً من عندي حمل له كيسه الى المركب اذ لم يجد مركبة وقتئذ . والصبي رآه يصعد الى المركب

فقال بليك : نحن انفسنا ذاهبون الى مليله فمتى يسافر المركب ؟

فأجاب التاجر : في الساعة السابعة مساء . فان باخرة البريد تسافر في ذلك الميعاد من كل اسبوع الى اسبانيا .

وعند ذلك دخل زائر فقطع الحديث . فخرج بليك والغلام ورأيا انه لم تبق حاجة للاستقصاء من محل آخر . فان دك والس قد سبقهما بيومين

اما سبب عدم تخفي دك والس في ملقا كما فعل في طليطلة فظاهر فانه حينما كان ضيفا على الدون جوس اميجو كان خائفاً على حياته من اعدائه الملكيين . ولكنه لما ضلالهم وأمن شرهم بهربه جنوباً لم يبق حاجة الى التخفي ولا سيما أن الاوراق التي كان يحملها كانت كافية لحمايته واطلاق حريته . ويظهر أنه لم يخش شراً من نفوذ الملكيين ولم يحسب لهم حسابا

وسر تنكر بالسفرة التي أمامهما الى مراكش الاسبانية . أما بليك فالتفت الى تنكر وقال له انني متأسف لاننا لم نقدر أن نمنع والس من العبور الى أفريقيا

فأجابه تنكر : لا أخالك متأسفاً أبداً

فابتسم بليك وقال . سنعمل ما في طاقتنا فان السير فرنسيس ترانت قد اعتمد علينا . فنتناول غداءنا في أحد المطاعم ونجول مدة في المدينة وفي المساء نركب الباخرة ونسافر الى مليله ولكنني أخشى أنه عند ما نصل الى هناك نجد دك والس قد ذهب الى الريف

فقال تنكر : دعه يفعل ما في نفسه قبلما نجده

فهزّ بليك رأسه وقال : إن أول أمر يجب الاهتمام به هو العلاقات الودية التي بين انجلترة وأسبانيا . فعلينا أن لاننسى ذلك

الفصل الرابع

في أرض الف ليلة وليلة — في فندق « اسبانول » في مليله — الكابتن هر مانوس — صدمة غير منتظرة — محاورة شديدة بين بليك والضابط — الضابط يغلب — حديث مع الناظر — أخبار من دك والس — حلوان لبليك

في اليوم التالي قرب الظهر غادر بليك وتنكر باخرة البريد ونزلا الى البر في مليلة وذهبا الى فندق « اسبانول »

وبعد وصولهما الى الفندق بساعتين كانا واقفين على شرفة في الطبقة العليا من الفندق يستنشقان الهواء البليل . فنظر تنكر الى المدينة أمامه وقال : اليست هذه مدينة جميلة جداً ؟

فاجاب بليك : انها فتانة تعيد الى المرء ذكرى حوادث الف ليلة وليلة أكثر من كل مكان رأيناه في مراكش . فالشوارع مزدحمة بدواب الحمل وباناس لابسين ثيابا غريبة مختلفة

فمنهم المغاربة بالجلاليب والبرانس . ومنهم اليهود بالقفاطين وبينهم زنوج ونساء بثياب غريبة ومزيج من الجنود الاسبانية

وكانت جدران البيوت بيضاء قائمة بعضها فوق بعض وبينها قباب ومآذن تتخللها الخضرة والاشجار . وكانت الشوارع ضيقة وبعضها مغطى بقناطر وفيها منازل أغنياء المغاربة وجداول الماء تنساب من جنائنها . وترى هنالك أصحاب الحرف يصنعون المناديل الحريرية والخشب المزخرف . والى مسافة بعيدة ترى السوق على رابية جرداء مكتظة بخلائق مختلفة الاشكال

حقاً إن منظر مليله فاتن يسحر النظر وضواحيها بديعة جداً

ولذلك لم يشأ بليك وتنكر أن يتركا الشرفة ويدخلا غرفة الجلوس الخاصة بهما والتي كانت مفروشة فرشاً أنيقاً الا بعد مدة . وبعد أن متعا النظر ملياً دخلا والقى تنكر نفسه على مقعد هناك وقال : لقد وصلنا الآن فاين دك والس ؟

فقال بليك : هذا ماتريد أن نعرفه . لقد وصل الى هنا قبلنا بيومين فمن المحتمل انه الآن في الريف . ومن المحتمل أن يكون قد ذهب حرصاً على الوقت كما انه من المحتمل أيضاً أن يكون باقياً في المدينة

فقال تنكر : وما الذي نويت أن تفعله لتعلم الحقيقة يا سيدى ؟

فاجاب بليك : لقد افتكرت في ذلك ولا أظن أن في الامر صعوبة . قلت لك حينما وصلنا الى هنا أن الرجل الفرنسوي صاحب هذا الفندق (جول تارازكون) كان مديراً لفندق باريس في النيجويا منذ عشر سنين وأنا أعرفه جيداً وهو ايضا لم ينسنى واذكر أنه كان معدن الاخبار يعرف جميع أنباء المدينة بتفاصيلها ولما استأجرت منه غرفنا هذه قال لي أنه صار له ثماني سنوات في مليله . فلا شك اذن أنه يعرف كل أخبار المدينة وحوادثها . وبما أنه فرنسوي وليس أسبانيا فلن يأبى أن يفضي الى بكل ماعنده من الاخبار

فقال دك : عرفت . عرفت . انك تظن أن المسيو تارازكون يعرف شيئاً عن دك والس

فاجاب بليك : أظنه يعرف . واذا كان لا يعرف فسوف يسأل ويستقصي وانني لا أريد أن أفعل ذلك بنفسي لئلا ينفضح أمرنا لانه اذا عرف الكونت فيليب دي كوندى وأصحابه الملكيون أننا قد أتينا لكى . . .

ولم يتمم بليك جملته لانه سمع قرعا على الباب ففتحه فدخل ضابط أسباني طويل القامة

نحيف البدن في نحو الاربعين من عمره ذا بشرة سمراء وشارب اسود وكان على خده ندبة وعلى صدره عدد من الانواط . فانحنى بفتور وضرب مهمازيه معا على النمط البروسي وقال : أظن انني أكلم السنيور سكستن بليك

فاجاب بليك وهو متعجب وغير مرتاح الى هذه الزيارة : نعم أنا هو

فقال الضابط : أنا الكابتن هرمانوس وقد اتيت اليك من قبل حاكم المدينة العام

فقال بليك : لقد شرفتني ياحضرة الضابط

فاجاب الضابط : بل انا الذي نلت شرف ذلك فهل لك أن تسمح لي أن أسألك عن قصدك من المجيء الى مراكش؟

فاجاب بليك : لمشاهدة البلاد

فقال الضابط : أتعنى بلاد الريف ؟

فاجاب بليك : ربما رغبنا في الذهاب الى هناك

فقال الكبتن هرمانوس : يجب أن تغيرا خطتكما فانكما لاتقدران أن تذهبا الى أبعد من مليله

فقال بليك : عجبا . ولماذا ؟ ان أوراقنا فحصت حينما نزلنا الى البر وأعيدت الينا من دون اعتراض

فاجاب الضابط : ان السبب بسيط جداً ياسنيور . ففي الساعة الاخيرة وصلت رسالة برقية من مدريد الى الحاكم العام لمنعك أنت ورفيقك واعادتكما الى ملقا

فتبادل بليك وتنكر النظرات وهما مذهولان

وأدرك بليك جلياً مصدر الرسالة وتحقق أنها نتيجة مساعي الملكيين الذين قابلهم في قصر الدون أميجو . على أنه لم يرد ان يذكر اسم دك والس ثم التفت الى الضابط وقال : أظن أن هنالك خطأ ما ياحضرة الضابط

فاجاب الكابتن هرمانوس : ما من خطأ البتة

فقال بليك : لكن أوراقنا غير ناقصة ومختومة كما يجب وبواسطتها يمكننا أن نسافر حيث نشاء

فاجابه الضابط : ان اوراقكما قد الغيت الآن ياسنيور بليك باعتبار هذه البلاد أي أنه يمكنكما أن تسافرا بها في أسبانيا وليس في مراكش الاسبانية

فقال بليك : ان اوراقنا تقول صريحاً أنه يمكننا أن نسافر حيث نشاء وقد أخذها لنا رئيس ديوان الجمارجية من السفير الاسباني في لندن

فاجاب الضابط : ربما كان الامر كما تقول ولكن تذكر ياسنيور أن الامر الوارد للحاكم العام هو من مصدر أعلى بكثير من السفير الاسباني في انجلتره

فعض بليك شفته وقال بغضب : أظن أنك بعد هذا ستقول لنا أنكما أسيران

فاجابه الضابط : كلا لن يحصل ذلك مطلقاً فيمكنكما أن تجولا في المدينة حيث شئتما بشرط أن لا تجاوزا الاسوار ويجب أن لاتقربا من الابواب

فقال بليك : وكم هي المدة المسموح لنا بمكثها في مليله

فاجاب الضابط : يومان فقط ياسنيور بليك ـ غداً والذي بعده ويوم الخميس مساء تعادان الى ملقا بباخرة البريد

فقال بليك : هذا انتهاك لحرمتنا فسأرفع الامر الى السفارة وسأذهب وأقابل الحاكم العام

فقال الضابط : لافائدة من ذلك ياسنيور : فالحاكم العام يرفض مقابلتك لان عنده أوامر صريحة بهذا الشأن والاوامر يجب أن تنفذ

فاحتدم بليك غيظاً وأخذ يتهدد ويتكلم بحدة ويقول : ان من كان سببا في ذلك سيقع في مشكل عظيم انني سأشكو أمري على لسان البرق الى وزارة الخارجية في لندن ووزير الخارجية الذي هو صديقي الخاص سيرسل احتجاجاً شديداً الى حكومة مدريد

فلم يفه الكابتن هرمانوس بكلمة بل أصغى اليه بكل هدوء وهو يهز منكبيه تارة ويبتسم أخرى

ثم رفع بليك صوته وقال : نعم ان من كان السبب في ذلك سيقع في مشكل عظيم . فانا لن أسكت على اهانة كهذه وسنطلب انجلتره ايضاحا كاملا . وليت شعري لماذا تلغى الرخصة المعطاة لنا للسفر الى بلاد الريف ؟ لاريب ياحضرة الضابط أن هنالك دسيسة في الخفاء . ان لي أعداء من الحزب الملكي ولاشك أن الاوامر التي أرسلت الى الحاكم العام كانت بواسطة مساعيهم ونفوذهم في مدريد

ثم توقف بليك عن الكلام اذ عرف انه قد تكلم اكثر مما يجب . فلم يقدر الكابتن هرمانوس عندئذ ان يتمالك نفسه فضرب بيده على قبضة سيفه وأبرقت عيناه من الغضب . ثم عاد فهز منكبيه وقال : انك واهم ـ وكلام الجنون الذي فهت به لايهم . وسواء صدقتني أم لم تصدقني فالذي يوجب منعكما عن الذهاب الى بلاد الريف هو أسباب سياسية . وبما أنك قد تهددت بعدم الاصغاء الى أوامر الحاكم العام والاستهزاء بها فيجب أن تمكث أنت ورفيقك في الفندق إلى ان تعودا إلى ملقا واذا حاولتما الخروج من الفندق فسيلقي القبض عليكما وترسلا

الى السجن العسكرى . أفهمت ذلك جيداً ياسنيور بليك ؟ استودعك الله . ثم انحنى وداز إلى الباب وخرج . وسمعا وقع خطواته وقرقعة سيفه على السلم وهو نازل . ولما انقطع الصوت قال تنكر : لعن الله حظنا فان هذا كاف يستفز القديسين ويهيجهم ولكن لا بأس . فعلي كل حال ما كنا ذاهبين الي الريف

فقال بليك . ولماذا ؟

فاجاب تنكر : لان دك والس لم يجاوز مليله . وأنا أعتقد أنهم قد وقفوه ولم يسمحوا له بالسفر

فقال بليك : كان يصح ذلك لو ان أوامر مدريد وصلت اليهم في وقتها . وأنا اعتقد أنها لم تصل وان دك والس قد سبقنا بيومين وخلف أعداءه يعتقدون انه مختبيء في طليطلة

فقال تنكر : أنظن إذن أنه في الريف الان ياسيدى ؟

فقال بليك : قد يكون هنالك وقد يكون في السجن العسكري هنا : سأكتب تاراز كون ليستقصي لنا الحقيقة فاذا كان والس قد غادر المدينة تبعناه

فقال تنكر : تبعناه ؟ وكيف يتأتى لنا ذلك ونحن اذا خرجنا من الفندق القي القبض علينا ؟

فاجاب بليك : لاأعرف يابني إنما الذى أعرفه اننا لن نكون في باخوة البريد حينما نسافر الى ملقا يوم الخميس مساء . نعم ان نكون اذا كان دك والس قد خرج من مليلة . وسنجد سبيلا اليه

ولم يتم بليك جملته لانه سمع وقع أقدام أمام الغرفة . ففتح الباب فدخل جول تاراز كون صاحب فندق اسبانول . وكان جول متوسط القامة ذا لحية كثة فأغلق الباب وقال — أريد ان اكلمك ياسنيور بليك فاسمح لى بذلك لانك صديق قديم لى . لما رأيت الضابط الاسباني صاعداً إلى غرفتك انسللت وراءه وسمعت حديثه جميعه من غرفة مجاورة . فانت الان في مأزق حرج . انت تريد أن تسافر الى الريف وهم يمنعونك . اليس الامر كذلك ؟

فقال بليك : نعم هو كما تقول وسأكلمك بحرية وصراحة ياتاراز كون لاني واثق بك اذا افضيت اليك بالسر . لقد اتينا الى مليلة لنبحث عن رجل انجليزي هو صديق لى . وقد كان ذاهباً الى بلاد الريف فأردنا ان نتبعه ولكننا لانعلم هل قد ذهب أم لايزال هنا في المدينة . العلك تعلم شيئا عنه ؟

فقال جول تاراز كون : وما اسم هذا الرجل ؟

فأجاب بليك : ريشارد والس

فقال جول : ذلك ماظننته

فقال بليك : أسمعت بهاذن ياتاراز كون؟

فقال جول : نعم بكل تأكيد

فقال باليك : اهو في مليلة بعد ؟

فأجاب جول وقد رفع أصبعه الى فمه : كلا ياسيدى . لقد سافر

ثم انتقل تاراز كون الى آخر الغرفة فجلس وأشعل لفافة من التبغ وقال بصوت منخفض : سأقول لك كل شيء ـ أنت تعلم ياسنيور بليك انني حينما كنت في الجزائر قلما فاتني شيء لم أعلم به مما كان يجرى حولي أو في المدينة . كذلك حالي هنا منذ وطئت قدماي أرض مليله . وقد ساعدت من وقت الى آخر كل من أراد زيارة الريف من أهل أوربا كما ساعدت أيضاً أحياناً من أراد أن يبيع الريفيين سلاحاً وذخيرة مع ان ذلك ليس من شأني . وأنا أرسلهم دائماً الى صديق لي يدعى « رحاباً » وهو شيخ مغربي عرفته وعرفني . ورحاب هذا يعرف المدينة معرفة سرية لايباريه فيها أحد من الأسبان . فهو يهرّب الأشخاص من الاسوار بعد مايكون قد أعدّ لهم الحيل فيركبونها وينطلقون وذلك مقابل جعل يتقاضاه منهم ـ أما ريشارد والس. فأنا نفسي لم تقع عيني عليه ولم أعرف انه كان في مليله وانما علمت انه نزل الى البر هنا منذ يومين وبعد وصوله بساعة تلقى الحاكم العام رسالة برقية من مدريد تأمره بوقفه ولكن الجنود الأسبان قلبوا المدينة راساً على عقب يبحثون عنه فلم يجدوه . والى الآن لم يقفوا له على أثر. وليس ذلك بعجيب فانني ـ ثم توقف عن الكلام وقهقه . . .

لقد سمعت القصة من رحاب نفسه الذي رأيته في هذا الصباح . ويظهر ان المسيو والس كان يعرفه معرفة جيدة وانه حالما وصل الى مليلة ذهب رأساً اليه وقابله . وكان قصده الذهاب الى مركز قيادة الشيخ عبد الكريم وذلك أمر ليس بالهيّن لان الشيخ عبد الكريم الذي هو القائد العام لجميع قبائل الريف الثائرة لايستقر في مكان واحد . بل ينتقل من مكان الى آخر . ولكن « رحاب » عمل ماقدر عليه وفي تلك الليلة هرّب ريشارد والس من المدينة وأرسله في طريقه مصحوباً بدليل .

وكان بليك وتنكر يصغيان الى حديث تاراز كون باهتمام شديد . ولما أتم حديثه نظر أحدهما الى الآخر بارتياح وسرّي عنهما قليلا لأنهما رأيا طريقاً للتغلب على الصعاب العظيمة التي كانت تعترضهما للحاق بدك والس . على انهما أدركا ان مسألتهما ليست سهلة كمسألته

وان العقبات في سبيلها أكبر بكثير

فقال بليك: ان حسن حظنا هو الذي ساقنا الى فندقك ياناراز كون: فالذي فعله صاحبك « رحاب » مع المسيو والس يستطيع أن يفعله معنا. أفلا يستطيع أن يخرجنا من المدينة؟ فأجاب تاراز كون: بالطبع. لقد خطر لي ذلك. فأنا سأفعل في مسألتك كل مافي طاقتي.

فقال بليك: — شكراً لك ياتاراز كون. أرسل الى « رحاب » برسالة منك أو تكلم أنت معه بالنيابة عنا.

فقال جول: انى أخشى ان في الامر صعاباً كبيرة

فقال بليك: — ولماذا؟

فأجاب جول: لان مسألة فرار المسيو والس قريبة العهد جداً والجنود لاتزال تفتش المدينة عنه وقد جازف رحاب في التهريب كثيراً حتى أصبح خائفاً قلقاً. وقد قال لي في هذا الصباح انه يخشى اشتباه ولاة الامور الأسبان فيه. فياليتكم تنتظرون أسبوعاً أو نحو ذلك

فقال بليك: أسبوعاً أو نحو ذلك؟ ان ذلك غير ممكن اذ يجب أن نخرج من مليلة. فالكابتن هرمانوس يخشى أن نهرب. فاذا بقينا هنا الى الصباح فربما قبض علينا وأخذنا الى السجن.

فقال تاراز كون: انه كذلك. فان اللهجة التي كلمكما بها لم ترق لي

فقال بليك: يجب تدبير قرارنا هذه الليلة حتما ويجب ان يساعدنا الشيخ رحاب ويأخذ أجرته

فقال جول: أخشى انه سيطلب مبلغا كبيرا من المال يا سنيور بليك

فقال بليك: لن يكون ذلك مانعاً فانا راض بان أدفع له مبلغاً معتدلا اذا أخرجنا من المدينة

فقال جول: ربما يرضى لو دفعنا له مبلغاً يغريه وقد يستطيع ان ينجز كل شيء قبل الصباح

فقال بليك: اذن فاذهب اليه في هذا المساء واتفق معه كما يتراءى لك

فقال جول: هنالك صعوبة ياسيدى فانا ورحاب نستعمل الحذر الشديد في مانعمله ولا نتقابل الا حينما يأتي الى هنا ليشرب شيئا ولا يحسن أن نشاهد معاً في محل آخر. وأنا لاأقدر أن أخفى لحيتي فهذه اللحية وهذان الشاربان يفضحاني اينما ذهبت وليس في العالم شيء يغريني

(ستأتي البقية)

(المطبعة التجارية الكبرى بعابدين حارة فايد رقم ٣)

في بلاد الريف

(٣)

بالتخلص منها . وبالحقيقة لا ارى طريقاً لمقابلة رحاب قبل يوم أو يومين . فضلا عن أنه ليس الآن في منزله بل قد ذهب الى قهوة (اللصوص العشرة) حيث يقضي كل يوم بعد الظهر والمساء . واذا أرسلت من يدعوه الى الفندق فسيثير بذلك الشبهات . كلا ان ذلك غير ممكن . فقطب بليك حاجبيه حيرة وقال : أتقدر أن تأتيني بثياب وطنية وصباغ أسمر ؟

فقال ترازاكون : ولماذا ؟ أتريد أن تتنكر وتذهب انت نفسك الى القهوة ؟

فقال بليك : نعم ولما لا ؟ فلا خطر فى ذلك لانني أتكلم العربية جيداً أنما قل لي كيف أعرف صاحبك رحابا ؟

فقال جول : ليس الفكر رديئاً يا سيدي . أما ما طلبت فليس في الحصول عليه من صعوبة فالصباغ الاسمر موجود عندي . وفي خزانة عندي ست بذلات كاملة من الثياب المغربية . وهي عندي لا بيعها للذين يريدون دخول الريف متنكرين

فقال بليك : حسن جداً يا ترازاكون . اتفقنا على ذلك وأنا سوف ـ ونهض بليك قبلما يتم جملته وخرج الى الشرفة فاطل الى تحت ثم عاد فدخل الغرفة وعلى وجهه علائم الخوف وقال : هذا ما كنت اخشاه فان الكبتن جرمانوس قد أخذ حيطته الامر ووضع اسبانياً فى الشارع يراقب باب الفندق ويحرسه

فقال تنكر : يا لله هذا ما كان ناقصاً

فابتسم ترازاكون وقال : لا تقلقا يا سيدي . ديدبان اسباني ! ليس ثمة شيء أبسط واسهل من أن تخدع ديدباناً أسبانياً . اذ لهذا الفندق بابا في مؤخره وهو طريق يؤدى الى زقاق مظلم

فقال بليك : أتظن انه لا يوجد ديدبان آخر بقربه ؟

فقال جول : كلا أنا متأكد انه لا يوجد . فكن واثقاً ولا تخف يا سنيور . فحالما يخيم الظلام يمكنك أن تذهب متنكراً في زي وطني الى قهوة « اللصوص العشرة » التي هي فى ساحة بالقرب من « الكاسبا » وسأقول لك كيف تهتدي الى رحاب . قل له كلمة «مكة» فيعرف حالا أنك ذاهب اليه من قبلي فيأخذك الى منزله وهو قريب من القهوة وهناك تكلم معه واقنعه بان

يساعدك . أظن انه سيطلب مبلغاً كبيراً من النقود لانه سيتقاسمها مع آخرين فاذا كنت لا تبالي بالنفقات ....

ثم توقف ترازاكون عن الكلام وقام لينصرف وهو يقول : انني ذاهب لاهيء لكما العشاء وسآتي بها اليكما . وبعد العشاء سألبسك أنا الثياب التي ستذهب متنكراً بها في رحلتك الى الريف وسألبس الغلام تنكر ثيابا مثلها حينما تكون غائباً حتى اذا عدت من عند رحاب باخبار حسنة ورضى أن يهربكما من المدينة في هذه الليلة لا يكون تأخير

الفصل الخامس

التنكر بالثياب المغربية ـ الذهاب الى قهوة « اللصوص العشرة » ـ الانتظار الممل ـ مخاوف تنكر بليك يعود ـ الاخبار الحسنة ـ تدبير السفر ـ الخروج من الفندق ـ الى محل الملاقاة

بعد ما غيم الغسق بنحو ربع ساعة خرج سكستن بليك من فندق اسبانول وقد صبغ وجهه وعنقه ويديه وذراعيه بصباغ أسمر داكن ولبس ثوبا فضفاضاً وعمامة بيضاء وخفاً من غير كعب وتحت الثوب ثيابه العادية فانه حسب اذا تمكن هو والغلام من الوصول الى الريف انهما لن يحتاجا الى التنكر واخفاء كونهما انجليزيين وبعد أن زوده جول ترازاكون بالنصائح اللازمة وأوصاه بشدة الحذر نزلا سلما واخرجه جول من الطريق السري في مؤخر الفندق ثم عاد الى غرفة الجلوس فصبغ بشرة تنكر والبسه ثيابا مماثلة لثياب بليك ليهتم بشؤونه الخاصة بعد أن قال للغلام : لا تقلق يا بني فسينتهي كل شيء حسنا . أما تنكر فلم يقلق في بادىء الامر لانه كان واثقا بان سيده في امان ولاخوف عليه فتمدد على المقعد يدخن لفايف الدخان المغربي السوداء ويتصفح المجلات الفرنسوية والاسبانية المصورة . وكان من وقت الى آخر يخرج الى الشرفة ويطل الى الشارع المزدحم ليرى هل الديدبان لايزال واقفاً على باب الفندق

وبعد مرور ثلاث ساعات اخذ يشعر بقلق ثم تحول قلقه الى جزع واشتدت حيرته وهو على تلك الحال واذا ببليك يدخل الغرفة وفي اثره جول ترازاكون . فلما وقع نظر بليك عليه قال له : مالك يابني . أجزعت ؟ فأجاب تنكر : اقلقني طول غيابك يا سيدي فما هو حظنا حسن ام ردىء ؟ فقال بليك وهو يجلس : اخباري حسنة جداً . فانني تعرفت برحاب وبعد كلمات قليلة خرجنا من القهوة فأخذني في منزله وهناك قلت له ما اريد فرفض في بادىء الامر رفضاً باتاً وأقسم انه لن يجازف مرة اخرى بنفسه ويعرضها لاخطار عظيمة كهذه . فعرضت

عليه مبلغاً من المال ليس بقليل فرفضه فزدته له فتردد هنيهة ثم لان عوده وطلب مبلغاً عظيماً جداً فلم اقبل لانه كان باهظاً جداً . وأخيراً قسمنا الفرق بيننا واتفقنا

ثم اعترضنا مشكل ثان وهو أن رحاباً لم يكن متأكداً هل يستطيع أن يهربنا في هذه الليلة أم لا فتركني في منزله وذهب الى قرية تبعد نصف ميل عن مليلة ليرى هل كان ممكناً أن يكتري حصانين ودليلا. وبعد أن غاب مدة طويلة عاد وقال انه قد دبر كل شيء ولكنه لا يقدر أن يرسل معنا الدليل الذي أرسله مع دك والس لانه مريض وسيرسل بدلا منه شاباً اسمه علي وهو يعرف الطريق الى قلب الريف ورحاب يثق بقوله

فقال جول ترازاكون — عسى أن تصدق ثقته به . فانه اذا اضلكما يا سنيور وقعتما في أيدي عصابة من اللصوص الذين يكمنون في الجبال قبل تافاروين

فقال تنكر : وكيف يخرجنا الشيخ رحاب من الاسوار يا سيدي ؟

فأجاب بليك : انه لم يقل لي

فقال تارازاكون : ولا أنا أعرف فانه سرٌّ لم يبح رحاب لاحد به وكثيراً ما حيرني . حقاً أن هذا الشيخ تعلب مكار

فقال بليك — يجب أن تذهب الآن فقد قلت لرحاب انني سأذهب وأعود حالا برفيقي وهو ينتظرنا في محل بالقرب من قهوة اللصوص العشرة وسنجد الخيل والدليل في مكان بعيد ميلا عن المدينة ونصل الى سكة الريف عند الفجر . أما امتعتنا فسنتركها عندك يا ترازاكون

فقال ترازاكون : لا بأس . انني مسرور جداً اذا أمكنني أن أساعدكما . وأنا أرجو يا سنيور أن تعود سالماً

فاستعد بليك وتنكر ووضع كل منهما مسدساً في منطقته تحت ثوبه وحمل بليك نقود الورق في كيس رقيق من الجلد المزيت حول وسطه تاركا النقود الذهبية والفضية في حقاب صغير ثم التفت بليك الى جول وقال . هيا بنا يا ترازاكون

فقال تراز كون : تمهلا دقيقة ياسيدي . أريد أن اتأكد شيئاً . ثم خرج وأطل من الشرفة وقال . أن الجندي الاسباني لايزال واقفاً يراقب . ثم نزل هو ورفيقاه على السلم الخلفي الى الطبقة السفلى من الفندق وعبروا الحوش الى سقيفة فيها براميل نبيذ فارغة ومن هناك خرج بليك وتنكر من باب سري الى زقاق مظلم متعرج وكان الهدوء شاملا . فالتفت بليك الى جول وقال . اخشى أن يعتبروك مسئولا عن هربنا

فهز جول منكبيه وقال : لاتخف فانهم لايقدرون أن يفعلوا بي شيئاً . ولكن أمتأكد انت ياسنيور أنك لن تضل الطريق في عودتك الى القهوة ؟

فقال بليك : أعرف الطريق جيداً . وسأجد القهوة بكل سهولة فستودعك الله

فقال جول : مصحوباً بالسلامة ياسنيور بليك . انى اتمنى لكليكما حظاً سعيداً . ثم صافحهما ووقف يراقبهما الى أن غابا عن نظره فى ظلام الليل

ثم قفل راجعاً فاغلق الباب ودخل التسقيفة وهو يقول لنفسه ما أعجب الانجليز فان المجازفات هي الهواء الذي يتنفسونه وهم لايعرفون للخوف معنى فلا عجب اذا ملكوا العالم

الفصل السادس

رحاب المغربي ـ عبور المدينة ـ الممر السري ـ خارج الاسوار ـ الدليل والخيل ـ في الطريق ـ السكة المفقودة ـ فزع على ـ اكتشاف مخيف ـ التفتيش عن ملجأ ـ الخرائب القديمة ـ بليك وتنكر يسقطان في شرك ـ الاسر والسلب

***

بعد نصف الليل بنحو ساعة وجد بليك وتنكر رحابافي جوار قهوة « اللصوص العشرة » . وكان هذا الرجل شخصاً صغير الجسم منحني الظهر منكمش الجلد ولكنه نشيط سريع الحركة . فأوصاهما أن لا يبديا أقل حركة وسار بهما يخترق المدينة التي كانت هادئة وشوارعها خالية فى مثل تلك الساعة . فمروا بكثير من الازقة والشوارع التي تتصاعد منها الروائح الكريهة واجتازوا طرقا ضيقة معوجة ذات انوار ضئيلة ولمحوا من حين الى آخر شبابيك منارة تخرج منها اصوات الجلبة والقهقهة وانغام الموسيقى البلدية وتعثروا ببعض ابناء السبيل النائمين في الشوارع فأيقظوهم فهبوا من نومهم يشتمون

أخيراً وقف رحاب في زاوية شارع واشار بيده قائلا : انظرا ياسيدى

فنظرا ورأيا امامهما على بعد نحو مائة خطوة منهما بوابة مرتفعة مغلقة داخلة في سور المدينة يتدلى من أعلاها فانوس صغير يلقي باشعته على جوسقين صغيرين تحته وامام الجوسقين ديدبانان واقفان يحرسان

فقال بليك : بكل تأكيد ان تلك ليست طريقنا

فهز المغربي رأسه وقال : كلا . لا هي ولا غيرها من البوابات

فقال بليك : وقد اكدت لي أننا لن نقاتل أحداً ولن نشق لنا طريقاً بالقوة

فقال المغربي : نعم لقد قلت لك الحقيقة . أننا لن نقاتل احداً . فثق بكلامي وسترى كل شيء حسناً . ومع أن ثيابهما البيضاء كانت ترى من حيث وقف الديدبانان فقد مروا جميعاً من غير اكتراث وعبروا الشارع الى زقاق ضيق معوج ولبثوا سائرين مسافة ثم التفتوا الى اليسار ودخلوا ساحة صغيرة وقفوا عند مؤخرها قليلا ثم اجتازوا بابا أشبه بقنطرة الى بناء كبير ذي قبة . وكان البناء جامعا قد تهدم أكثره وأهمل منذ سنين

فقال رحاب : هذا هو المكان يا سيدي

فتلمسوا طريقهم في الظلام بين مواد البناء المتهدمة وساروا حتى بلغوا مؤخر البناء وحينئذ أخذ المغربي مصباحا كهربائيا من تحت ثيابه ووضعه على الحائط المتهدم ثم ضغط على قطعة من حجر الصوان فدارت على محور خفي الى الداخل وانفتحت أمامهم ثغرة فانسلوا منها جميعهم واحداً فواحداً ووجدوا أنفسهم على قمة سلم وعلى جانبهم وفوقهم بناء يستر هم

وبعد أن أعادوا قطعة الصوان الى محلها نزلوا السلم على نور المصباح . ثم عبروا نفقا وصعدوا سلما آخر ووقفوا أمام جدار عظيم

فقال بليك : أظن اننا تحت استحكامات المدينة

فاجاب رحاب : نعم ولست أنت أول من اتيت به الى هنا من بني جنسك . ثم جثا على ركبتيه وبعد أن اخفى المصباح تحت ثوبه أمسك بلاطة مسطحة في أسفل الجدار وزحزحها فظهرت تحتها ثغرة صغيرة لا تكاد تكفي لمرور كلب منها

ولم يمر المغربي في الثغرة إلا بصعوبة ولما تبعه بليك وتنكر وجدا صعوبة أشد وخيل اليهما أن المرور منها مستحيل وأنهما سيلصقان بها ولا يقدران على التملص لشدة ضغط جدارها وسقفها على جسميهما . لكنهما بذلا كل ما فيهما من قوة واستعملا كل ما عندهما من حيلة . وكان تقدمهما قيراطا فقيراطا . وبعد أن تحملا كثيراً من الالم والتعب تمكنا من المرور وصارا في الخلاء خارج أسوار مدينة فوقهما القمر يرسل نوره الفضي وأمامهما الى مسافة بعيدة أدغال منخفضة خفيفة . فالتفت الشيخ رحاب وقال : لا تقفا يا سيدي لئلا يرانا أحد . تمهلا قليلا

ثم أخذوا يسيرون بين الادغال وهم تارة ينحنون وأخرى يزحفون على أيديهم وأرجلهم

ولما صاروا على بعد نحو ميل من المدينة قال لهما رحاب أن يقفا على أقدامهم . فوقفا وعرفا أنهما قد أصبحا في امان

وبعد أن ساروا مسافة اخذوا ينحدرون من الارض المرتفعة الى شبه واد . فوصلوا الى جدول قد نشف ماؤه فوجدوا الدليل والخيل ينتظرونهم

وكان الحصانان صغيرين أحدهما اشهب والآخر أبيض مرقطاً وعرفاهما أشعثان والسرجان مغربيان . أما الدليل على فكان شاباً نحيفاً في نحو العشرين من عمره ويكاد يكون عرياناً

حينئذ التفت رحاب اليهما وقال : لقد أتممت ما علي من الاتفاق يا سيدي

فاخرج بليك نقوده ودفع له أجرته التي نالها باستحقاق ذهباً انجليزياً . فلما رآها رحاب أبرقت عيناه فاخذها ووضعها في منطقته ثم قال : الله اكبر . ليحرسكما الله . يمكنكما الاعتماد على هذا الشاب والثقة به فقد أقسم لي أنه دليل ماهر وهو لا يجرؤ أن يكذب علي . ولن يتركما قبل أن يطلعكما على الطريق الصحيحة التي توصلكما الى جنوب تافارين . وبعد ثلاثة أيام تصلان الى بلاد عبدالكريم قائد الريف فتلتقيان قبائل من بعض قبائله . ولكن كونا على حذر فانكما في بلاد تجوب فيها كتائب صغيرة من الفرسان الاسبانية وانني أرجو أن تصلا بسلام

ثم مد رحاب يديه ورفع ابهامه الى فوق وقال : مع السلامة يا سيدي . ليكن الله معكما . ثم عاد أدراجه نحو المدينة

فامتطى بليك وتنكر جواديهما وسارا في أثر الدليل وقد ولى الجميع وجوههم شطر الغرب

وكان الحصانان يجريان بسرعة وأحياناً يخبان خبباً ولا علامة للتعب عليهما وعلي يسير أمامهما بعزم وقدم ثابتة فسارا كذلك نحو ساعتين ميلا بعد آخر

وكانت طريقهم بين تلال رملية منخفضة والبحر قريب منهم يهب هواؤه المالح على وجوههم وكانوا يبصرون من حين الى آخر مياه البحر المتوسط اللامعة الفاصلة بين أوربا وافريقا . والى الجنوب منطقة مقفرة موحشة يليها سلسلة من الجبال لا تكاد ترى لبعدها وهي ممتدة الى الصحراء العظيمة

ثم تركوا التلال الرملية والتفتوا فأخذوا يسيرون جنوباً بين الصخور والادغال وبعد أن قطعوا نحو ثلاثة أميال وقف الدليل بغتة فجذب بليك وتنكر اعنة جواديهما فوقفا فسأل بليك علياً الذي كان واقفاً جامداً كأنه يصغي الى صوت وقال : مالك ما الذي تسمعه ؟

فاجاب الشاب : سمعت صوت حوافر خيل على الحجارة

فقال بليك : انا لم اسمع شيئاً

فاجاب الشاب : أنه كان صوتاً خفيفاً جداً ياسنيور وسمعي أحد من سمعك

فقال بليك : صدقت فهاقد سمعت انا ايضاً . ولكن مامعنى طواف الخيالة في هذا المكان وفي ساعة كهذه من الليل ؟

فقال الشاب : انهم لصوص من قبيلة الشيخ « بن ابو » ياسنيور

فقال بليك : لقد حذروني منهم ونحن في مليلة فهل نحن فى بلاد « بن ابو » ؟

فأجاب علي : نعم وقد اجتهدت أن نجتازها قبل طلوع النهار ولكن —

ثم توقف وأخذ يصغى هنيهة ثم قال : انني لا اسمع شيئا الآن .ولكن مع ذلك فالاحسن أن لانتقدم اكثر قبلما نتحقق هل ثمة من خطر أم لا . فقفا اننا هنا لاذهب وأرى

فقال بليك : حسن . لقد حذرونا من هؤلاء اللصوص فلا نريد أن نقع في أيديهم .

فقال الدليل : واذا وقعنا فى أيديهم ياسنيور فليس لنا الا الذبح

ثم اسرع الى الجانب الآخر من الوادي الضيق الذى كانوا فيه وتسلق قمة منحدر هناك ثم سار يضع خطوات الى يسار القمة وتوارى

وبعد ربع ساعة ظنها بليك وتنكر سنة عاد الدليل وهو يلهث من شدة الركض وقال : الامر كما ظننت ياسنيور فقد رأيت أثرهم على ارض ناعمة هناك . اثر « بن ابو » ورجال قبيلته ورأيت آثار حوافر الخيل على العشب وقد علمت انهم مروا منذ مدة وجيزة وساروا في الجهة التى كنا سنتوجه اليها

فقال بليك : ذلك من سوء حظنا فاذا سرنا في الطريق عينه فربما قابلناهم وهم راجعون

فقال الشاب : نعم أن الخطر عظيم

فقال بليك : دعنا اذن ندور ونسير شمالا فنجتنب اللصوص . أنا أعرف ان الشقة ستطول بك على الى أن توصلنا الى سكة حديد الريف ولكنني سأدفع لك عن ذلك مايرضيك

فقال على : بعد الشقة لايهمنى كثيراً ياسنيور فأنا قد تعهدت لرحاب بان أوصلكما وسافعل ذلك ولكن لاحاجة الى التكوب عن طريقنا البتة

فقال بليك : وهل نبيت هنا ؟

فأجاب علي : كلا ياسنيور ليس هنا في الخلاء فان ذلك خطراً وانما نبيت فى احدى الخرائب القريبة التي أعرفها حتى شروق الشمس فيكون اللصوص حينئذ قد عادوا الى معلقهم الذي هو على بعض مسافة الى الشرق

فوافقه بليك على ذلك وقال : ان رأيك حسن فخذنا الى هذا المحل

فقال تنكر : الافضل أن نستريح قليلا يا سيدي فان الركوب قد اتعبنا ثم تبعوا الشاب وبعد أن ساروا قليلا الى اليمين داروا الى الشمال ودخلوا فرجة في التلال ومشوا نحو مائة خطوة فوصلوا الى أرض منبسطة عليها خرائب ربما كانت حصناً لاحد مشايخ المغاربة الاشداء ورجاله

وكانت الخرائب قديمة جداً وقد غطت قسماً كبيراً من الارض والقمر يلقي أشعته على الجدران المتهدمة والابراج المستديرة . وهناك ممرات وأقنية وأروقة كثيرة جميعها مرصوفة بالحجر الرملي الاحمر وصفوف من الاعمدة بعضها قد تكسر وبعضها لا يزال سليما

ثم قال علي اتبعاني يا سيدي وانما اريكما أين نبيت . ثم سار أمامهما بين الحجارة المتهدمة وبقايا العواميد المتكسرة حتى وصلوا إلى فناء كبير محاط من جوانبه الاربعة بايوانات عالية وهنا جذب بليك وتنكر أعنة جيادهما فوقفا ولم يكادا يترجلان حتى سمعا صراخاً عاليا وابصرا نحواً من عشرين رجلا مغربياً قد خرجوا من الايوانات وأحاطوا بهما

فصرخ تنكر قائلا : لقد وقعنا في الشرك يا سيدي

وصاح بليك قائلا : سأرمي هذا الدليل الخائن بالرصاص . ثم مد يده واخرج مسدسه من تحت ثوبه ولكنه لم يكد يخرجه حتى وثب علي عليه وانتزعه من يده . أما تنكر فقبلما يخرج مسدسه أحاط به ستة من المغاربة وأمسكوا بتلابيبه وهجم مثلهم على بليك وضيقوا عليه الخناق فقاوم بليك وتنكر خصومهم وقاتلاهم مقاتلة الابطال وكانا يكيلان لهم اللطمات يميناً وشمالا ويلقيانهم على الارض واحداً بعد الآخر . لكن الكثرة قويت عليهما فوقعا على الارض وأخذ المغاربة يرفسونهما ويضربونهما ضربا شديداً حتى أغمي عليهما . ولما افاقا وجدا ايديهما مربوطة الى أرجلهما ففتشهما المغاربة وأخذوا كل ما معهما من الاوراق والنقود ما عدا كيس الجراب المزيت المربوط على خصر بليك فانهم غفلوا عنه

وكان هؤلاء اللصوص قبيحي المنظر ذوي لون أسمر وملتحين وعلى وجوههم علامات الغدر والخيانة وعليهم ثياب سمراء خشنة

أما الشيخ « بن أبو » نفسه فكان ضخم الجثة مستدير الوجه ممتلئها ذا لحية شعثاء وثيابه تمتاز عن ثياب الاخرين . فتقدم الى بليك وتنكر ونظر اليهما بشراسة وقال بالاسبانية : انكما انجليزيان وأنا لا أحب أن يأتي الانجليز الى بلادي. أسألكما عن سبب مجيئكما ثم أقطع رأسيكما

فقال له بليك بجرأة — لا تقدر أن تلحق بنا أذى لاننا ذاهبان الى بلاد الريف بمهمة ودية لعبد الكريم

فضحك الشيخ وقال : لا واجب علي لعبد الكريم فانه ليس مولاي ولا سيدي

فقال بليك : يجدر بك أن تطلقنا والا ندمت

فقال الشيخ : سافعل بكما ما أريد وأنا متأكد أن الطيور ستنظف عظامكما جيداً

ثم ضحك ودار وذهب . أما علي فكان قد توارى اما لانه استحى أن ينظر الى وجه الذين غدر بهما وخانهما او لانه عاد الى قريته . أما الجوادان فقادهما بعض الرجال الى مكان غير معروف . والرجال الاخرون أخذوا بليك وتنكر الى ايوان فجلسا على سجادة واسندا ظهرهما الى الحائط

آل سفر بليك وتنكر الى آخرة محزنة فجلسا على البساط قانطين وشبح الموت ماثل أمام اعينهما لانهما قيدا عمداً ودفعا بحيلة شيطانية الى الشرك ووقعا فيه

فقال تنكر : لابد أن يكون الدليل شريكا للصوص وأنه قد غدر بغيرنا أيضاً وأتاهم بهم فسلبوهم وقتلوهم . فقال بليك : يا له من وغد لئيم فانه صنف لنا قصة لم يمكننا بالطبع الا ان نصدقها ولما تركنا أسرع الى هنا وأشار على رجال العصابة بان يأخذونا على غرة فلا يكون عندنا فرصة لنرمي أحدهم بالرصاص

فقال تنكر : نعم ان الامر دبر بكل مهارة . ومن الغريب أنه لم يخامرنا شيء من الشك . أفتظن أن « بن ابو » يقصد قتلنا حقيقة ؟

فقال بليك : نعم أظن انه يقصد ذلك حقيقة فانه يخاف أن يطلق سبيلنا فندل الاسبان عليه

فقال تنكر : اذن أفلا امل لنا ؟

فقال بليك : الظاهر أنه لا امل لنا ولكن يجب أن ننتظر فاننا قد نجونا من ورطات كثيرة وقعنا فيها وربما وجدنا ما ينجينا من هذه الورطة أيضاً

فقال تنكر : قد كنا نجد لو لم تكن أيدينا موثقة

فقال بليك : سنجرب ان نفكها يا بني ولكن ليس الآن

وكان الظلام لا يزال مخيماً . وفي وسط الفناء نار موقدة قد جلس حولها « بن ابو » وعصابته يأكلون ويشربون . وكان بليك والغلام جالسين غارقين في بحر من الافكار وقد استحوذ عليهما الحزن ودهمهما الجوع والتعب والنعاس فانه لم يغمض لهما جفن منذ اربع وعشرين ساعة

وبعد هنيهة قال بليك : الحمد لله انهم لم يأخذوا البيبة والدخان لو قدر أن ادخن فلربما خطر لي ان ..

ثم توقف عن الكلام لانه رأى تنكر قد نام فتثاءب وغلب عليه النوم هو أيضاً

الفصل السابع

اليقظة ـ فرصة للهرب ـ حبسهما في برج ـ نذير الخطر ـ « بن ابو » وعصابته يهربون ـ كتيبة الفرسان ـ تهلكة جديدة ـ الجنود الاسبانية فى المعسكر ـ انتظار الظلام ـ تجربة مخطرة ـ بليك وتنكر يهربان

انتبه بليك لشد ذراعه فجلس وفرك عينيه ومد ذراعيه المتألمتين فتذكر كل شيء . ورأى تنكر مستيقظاً يبسم له فتعجب ولم يدر ما الذي جعل الغلام جذلاً كذلك

وكانت الشمس مشرقة ونورها يسطع فنظر بليك من محله في الايوان الى فناء المكان ورأى رجال العصابة نائمين حول رماد النار الهامدة وقد التف كل منهم بوشاح

فراقبهم نحو دقيقة ثم التفت الى تنكر فذهل إذ رأى يديه سائبتين وانقشع حالا ما كان على قلبه من سحاب الحزن وقال : هذا اذن ما يجعلك تبتسم يا بني

فاشار الغلام بالايحاب وقال بصوت منخفض : لقد استيقظت منذ نحو ساعة وأخذت اشتغل بجذب يدي وشدهما ومنذ نحو دقيقة ارتخت الحبال قليلا فسللت يدي منها

فقال بليك : أحسنت ويا ليتك فعلت ذلك من قبل

فاجاب تنكر : لا بأس ان كنت قد تأخرت والآن دعني افك وثاقك لنهرب فهؤلاء الرجال نائمون : أيريد « بن ابو » ان يقطع رؤوسنا ؟. ليفعل ذلك اذا استطاع

فقال بليك : ان نجاتنا غيرا كيدة يابني فانه وان كانت الفرصة سانحة فاننا لا نزال في قبضة يدهم

فقال تنكر : وما رأيك يا سيدي ؟ أنهرب على ارجلنا أم نأخذ الجوادين ؟

فقال بليك : نأخذهما اذا قدرنا . ولكن يجب أن لا نضيع الوقت في الكلام فأسرع وفك وثاقي

ثم أدار بليك جسمه للغلام فأخذ هذا يعمل بخفة وبعد قليل فك الحبال

فنهض الاثنان بحذر وأخذا يسترقان الخطى ولا يجرؤان أن يتنفسا وانسلا من الايوان ثم وقفا والقيا نظرة على ما حولهما ولما صارا على بعد خطوتين من الرجال رأيا الى شمالهما باباً بين ايوانين فدارا نحوه ولكن قبل أن وصلا اليه استيقظ أحد المغاربة ورآهما فصرخ صرخة عظيمة أيقظت جميع الرجال فنهضوا نهضة واحدة وكان « بن أبو » أول من وثب فخار كالثور واختطف من منطقته طبنجة من الطراز القديم محشوة بالبارود والرصاص وصرخ : « يالله ! الكلبان الانجليزيان ! مفكوكا الوثاق ! لماذا لم يوضع عليهما حرس !

ثم انطلقت الطبنجة وخرج منها صوت كالرعد وكان بليك وتنكر قد دخلا الباب وأخذا يركضان . وساعدهما الحظ قليلا فاجتازا الباب وخرجا منه الى فناء صغير ثم دخلا رواقا وانحرفا منه يساراً ثم يميناً ومع ذلك كانا لا يزالان في دائرة الاسر

ثم سمعا صياحا عظيما وجلبة شديدة فان المغاربة أخذوا يجرون وراءهم ككلاب الصيد وفي مقدمتهم «بن ابو» وصوته مرتفع فوق أصوات جميعهم وهو يقول

« بسم الله ! امجانون ؟ لا تأتوا جميعكم وراءي ليذهب بعضكم الى ناحية واخرون الى غيرها ! أدركوا الكلبين الانجليزيين !

ثم رأى بليك وتنكر فاطلق طبنجة عليهما ثانية فأخطأهما ودوى صوت البارود دوياً شديداً هزّ أحد الاعمدة المتداعية حتى كاد يهوي متحطماً

فقال تنكر : آه لو أمكننا الوصول الى الجوادين

فقال بليك : لا أظن ذلك ممكنا فانهم سيطوقوننا ويرغموننا أن نسلم قبل أن نجو منهم

ففهم الغلام ما يعنيه بليك فانهما كان في فخ في وسط حصن قديم وفي جزء لا يزال سليما تقريباً . وعبثاً حاولا أن يجدا طريقاً أو منفذاً الى الخارج . على انهما ظلا يعدوان ويدوران يميناً وشمالا حتى انتهيا الى مكان لا منفذ له فعادا بكل سرعة وهما يسمعان الصياح يعلو والجلبة تشتد

وكاد المغاربة يدركونهما فدخلا ممراً ضيقاً انتهى بهما الى الخارج مرتفع مستدير الشكل متين البنيان لم تقو عليه حوادث الايام وفي قاعدته باب يتصل بسلم لولبي . ولما رأى بليك انهما لا يقدران أن يهربا إلى مكان آخر وانهما اذا رجعا قبض عليهما المغاربة قال : تعال يا بني فلم يبق أمامنا الا سبيل واحد . ثم دخلا البرج واخذ يصعدان سلمه اللولبي ويدوران من بسطة الى اخرى الى أن وصلا الى قمته فكانا على ارتفاع مائة قدم من الارض وفي غرفة صغيرة مستديرة ذات سقف مخروطي لها ستة شبابيك في جدرانها القوية . وفي أرضها كومة من الحجارة المستديرة قد علاها الغبار واخضر لونها لطول عهدها وحجم كل منها نحو ثلاث كرات مدفع فلما رآها بليك أبرق وجهه وأشار اليها وقال :

لقد اتي بها الى هنا في الزمن القديم لاجل الدفاع وسنستعملها نحن أيضاً لذلك

فقال تنكر : أن ثلاثا أو أربعاً من هذه الكرات تخلصنا من «بن ابو» و —

فقال بليك : لقد جاءوا ! وفي الواقع أن «بن ابو» كان قد أخذ يصعد السلم وبين اسنانه سكين وقد عض عليه وفي يده الواحدة سيف وفي الاخرى طبنجة . فدحرج بليك كرة من الكرات

الى باب الغرفة ودفعها بقوة من رأس السلم فأخذت تتدحرج الى تحت . فصرخ الشيخ والقى سلاحه وقفز ولم تخطه الكرة الا بنحو قيد شعرة على أنه فقد توازنه وسقط على ظهره وهو يتدحرج الى أن اختفى في أحدى دورات السلم

فقال تنكر : لقد نال منها ما يكفيه

ولكن بعد أن تدحرجت الكرة الى آخر السلم اذا « بن أبو » قد ظهر ثانية وهو يصرخ كالمجنون ووراءه جماعة من رجاله

فدحرج بليك كرة ثانية فنزلت بقوة ولولم يسرع المغاربة ويلتصقوا بالجدار لقتلت اكثرهم ولما رأوا أن في صعودهم خطراً عظيما عولوا على الرجوع فاخذوا ينزلون السلم وهم يلعنون اويتوعدون ثم خفتت جلبتهم عند اخر السلم ولم يسمع لهم صوت

فقال بليك : أظن انهم لن يعودوا فيما بعد

فقال تنكر : وما فائدتنا من ذلك فاننا في آخر الامر اما أن نسلم او أن نموت من الجوع والعطش

فقال بليك : نعم أما هذا او ذاك فنحن في حالة حصار . ثم التفت وقال : انظر يابني الى الشمس فان الوقت قرب الاصيل ويجب أن نكون قد نمنا جزءاً عظيماً من النهار

فاجاب تنكر : نعم ولكنني كنت أظن أن الظهر لم يحن بعد

واذ رأيا أنهما في أمان مؤقت وأن المغاربة لايهاجمونهما في النهار انتعشت نفساهما قليلا فاطلا من شبابيك الغرفة وجالا ببصرهما في كل جهة يستكشفان الموقع وما حوله

ولما كان محلهما على ارتفاع عظيم جداً امكنهما أن يبصرا ماحولهما الى مسافة اميال وأن يريا ولو بغير وضوح تلال الرمل الصفراء ومياه البحر الزرقاء الى الشمال

أما الى الشرق والغرب والجنوب فقد كانت البلاد تتألق باشعة الشمس الحارة ولا يخفى أن مراكش الاسبانية تتخللها الوهاد والصخور الرومانية ومعظمها مجدب قاحل وجزء صغير منها تكسوه الغابات الخفيفة وكان على الارض التي بالقرب من بليك وتنكر خرائب الحصن القديم بالقرب ممتدة الى كل جهة وعند قاعدة البرج الى الشرق ومن ناحية مدينة مليلة فناء مربع فيه بعض الشجيرات من النخل وغيره وفي هذا الفناء جياد « بن ابو » وعصابته وبينهما جوادا بليك وتنكر والى يسار الفناء جنوباً بوابة في الجدار يوصل منها الى ممر تعلوه خضرة وحوض من الماء يصب فيه جدول صغير وحول الحوض شجيرات من الدفلى وبعض أشجار الزيتون المقطوعة

فقال تنكر : ان مرأى هذا الجدول يذكرني بعطشي الشديد فان فمي ناشف جداً . وها جوادانا مع الخيل مسرجان وملجمان فياليت عندنا حبلا نتدلى به الى الارض

فقال بليك : أنا أيضاً عطشان وجائع وستكون حالنا غداً اصعب جداً من دون طعام ولا شراب وما أحسب اعداءنا يتركوننا وشأننا فان « بن ابو » يريد موتنا لان الميت لاينقل خبراً ولذلك فهو لن يرفع الحصار عنا

فقال تنكر : واذا فرضنا وجود شقوق في البرج من خارجه وأردنا أن نتسلقها وننزل فسيرونا قبلما نصل الى الارض . كذلك اذا انسللنا في —

فصرخ بليك : ارجع الى الوراء ! اسرع !

وعندئذ سمعا طلقاً شديداً وازير رصاصة مرت بالقرب من خد بليك وهو يحني رأسه .

وفي أقل من لحظة كان الاثنان جالسين القرفصاء في أرض الغرفة بعيدين عن الخطر

فقال بليك : انني لمحت الشخص الذي اطلق النار وأظنه زحف الى محل ملائم لاطلاق النار علينا بينما كنا ننظر الى جهة ثانية

فاجاب تنكر : يجدر بنا اذن ان نضطجع على الارض

وعقب ذلك بضع طلقات ثم تساقط الرصاص من كل الجوانب فكان يصيب الجدران ويتساقط في أرض الغرفة . ثم ينقطع بضع دقائق ليعود ثانية . وأخيراً انقطع بتاتاً فاجتمع في أرض الغرفة كثير من قطع الرصاص الملتوية المسطحة

وبقي بليك وتنكر نحو نصف ساعة وهما ممدودان في أرض الغرفة لايجرآن على الوقوف خوفاً من أن يراهما أعداؤهما مع ان اطلاق النار كان قد انقطع وكانا بالقرب من الباب يرقبان السلم حذراً من خطر يفاجئهما . وبعد هنيهة قصيرة سمعا صراخاً عظيماً من كل ناحية ينذر بالخطر

فوقف بليك على قدميه وقال : لاتتحرك يا بني

ثم انسلّ الى أحد الشبابيك الشرقية وتطلع بكل احتراس . ثم نادى تنكر وقال : تعال انظر فأطلا الى أسفل فرأيا «بن أبو» ورجاله في الفناء تحتهم متهمكين يركضون الى هنا وهنالك بكل عجلة وبنادقهم معلقة بمناطقهم . ثم قبضوا على أعنة خيلهم وأخذوا يثبون الى السروج . ولم يلتفت أحد منهم الى البرج كأنهم في جزع شديد . وبعد بضع دقائق كانوا قد امتطوا جيادهم فخرجوا من الباب فساروا يميناً بجانب حوض الماء ثم أطلقوا الاعنة لخيلهم فأخذت تعدو في البرية وكان فرار ابن أبو ورجاله بعجلة حتى انهم تركوا جوادي بليك وتنكر ولم يأخذوهما

فقال تنكر : ما الذي جرى ياترى . لاريب ان هنا لك أمراً قد أخافهم خوفاً عظيما

فأجاب بليك وهو يشير الى الشرق : أنظر فان ذلك هو ما أخافهم فنظر تنكر واذا على بعد ميل أو أكثر من ناحية مليلة خط أسود رقيق ملتو كالثعبان يزحف نازلا من قمة تلٍ هناك . ثم لمع السلاح في نور الشمس وملأ صوت النفير الارجاء فصرخ الغلام : انهم جنود اسبانيول

فقال بليك : نعم انها فصيلة من الفرسان الاسبانية تبحث عنا وقد اقتفت أثرنا

فقال تنكر : لا أظن . فان الاسبان يعتقدون اننا لانزال في مليله . كلا . انهم لايبحثون عنا ولا عن الريفيين اذ لايوجد أحد منهم في هذه البلاد وانما هم يبحثون عن الشيخ بن ابو وعصابته . فلنسرع ولنهرب . نعم لا أظن انهم اذا جاءوا الى هنا يجدوننا ولكنهم سيأخذون الجوادين ويتركوننا في مأزق

فقال بليك : لا أظن ان الجنود يأتون الى هنا بل سيذهبون لمطاردة المغاربة الذين رأيتهم يهربون . فالاحسن أن نبقى هنا الى أن تتاح لنا فرصة أحسن للهرب

فقال تنكر : نعم الاحسن أن نبقى لانه اذا خرجنا الآن فربما يرونا فلننتظر قليلا

وظهر بعد قليل انه كان من الجهالة أن يتركا ملجأهما في البرج اذا لم تجر الامور كما زعم بليك . فان فصيلة الفرسان الاسبانية وصلت الى أسفل التل وكانت تقترب منها بسرعة ومع انها رأت العصابة الفارّة فانها لم تقصد مطاردتها والسبب على الارجح ان جيادها كانت متعبة وسواء كان السبب هذا أوغيره فان الفصيلة جعلت وجهتها الحصن القديم وأخذت تقترب منه وبليك وتنكر يرقبانها وهما مذهولان وبقدر ما كانت الفصيلة تقترب من الحصن كان بن ابو وعصابته يبتعدون الى أن توارو عن الانظار .

فقال تنكر : أرى ان الفصيلة ستبيت هنا هذه الليلة

فأجاب بليك : لاشك في ذلك

فقال تنكر : وما العمل ياسيدي . أنبقى نحن أيضاً هنا هذه الليلة ؟

فقال بليك . اذا أمكننا فسنخرج

وصارت الفصيلة على مسافة مائتي خطوة من الحصن وبليك والغلام يرقبانها خلسة وهما واقفان بجانب الشباك خوفاً من أن يراهما أحد . فلما وصلت الى الممر المكسو بالاعشاب عند

الحوض وقفت بكلمة واحدة من ضابطها فترجل الفرسان جميعهم وجثوا على ركبهم بجانب الحوض وشربوا بلهفة شديدة وملأوا قرب الماء التي معهم

ثم تركوا خيلهم تشرب واندفعوا جماعات جماعات من البوابة الى فناء الحصن يحملون أمتعتهم ولما دخلوا جعل الجوادان الابيضان وأخذا يعدوان فخرجا من البوابة واختلطا بالخيل الاخرى

فقال بليك : أعرفت الضابط يا بني

فاجاب تنكر : نعم انه الكابتن هرمانوس . أفانت متأكد ياسيدي أنه لم يأت يفتش عنا

فقال بليك : نعم انني متأكد فانه لم يخرج الا لمطاردة المغاربة

وكان النهار قد قرب من اخره والشمس نازلة في الغرب لكن أشعتها لا تزال محرقة وغرفة البرج التي هما فيها أشبه شيء بالفرن

وبقي بليك وتنكر عند الشباك اذ وجدا الحر هناك أخف . وكانا من حين الى آخر يختلسان نظرة مما يجري تحتهما . ولم يرفع أحد من الجنود نظره الى قمة البرج ولم يظهروا أقل اهتمام بالخرائب القديمة لان التعب كان مستولياً عليهم بل فكوا أحزمتهم وكوموا بندقياتهم وافرغوا ما في أجربتهم من الطعام والنبيذ

ثم تمددوا وعددهم نحو أربعين رجلا على البلاط في ظل الشجيرات المتفرقة . أما الكابتن هرمانوس وضابطان أصغر منه فذهبوا الى شجرة تين وجلسوا تحتها يدخنون . وكانت الخيل تنتقل من محل الى آخر ترعى العشب الاخضر بجانب الحوض

وأخذ الكابتن هرمانوس ورفيقاه يتكلمون بصوت مسموع تقريباً وكانت بعض كلماتهم تصل الى آذان بليك وتنكر من حين الى آخر ومنها ظهر ان بليك كان مصيباً في ظنه فان الفصيلة الاسبانية كانت قد خرجت لتعقب اللصوص بن ابو وعصابته وتأديبهم وستذهب في الصباح في أثرهم

فقال الغلام : ان ذلك أحسن جداً ياسيدي فامامنا فرصة سانحة للهرب بجوادينا في الليل

فاجاب بليك : سنجرب ذلك بكل تأكيد واذا نجحنا اتجهنا جنوبا فربما عثرنا على الطريق الذي يؤدي غربا الى بلاد الريف . فان دك والس قد يكون هناك الآن

فقال تنكر : نعم أظن انه هناك فان بن ابو وعصابته لم يقابلوه ولكننا في حاجة الى الطعام والاسلحة النارية فمن أين نحصل عليها ؟

فاجاب بليك : يجب أن نذهب بدونهما ونتكل على البخت . فالجوادان الابيضان نأخذهما لانهما ملكنا ولنا الحق في أخذهما . وأما الطعام والسلاح فلا أسرق شيئاً منهما من

الاسبان ولو أتيحت لي الفرصة . ولا أطلق على الاسبان طلقة ولو كنت مسلحاً . وأريد أن اوضح لك جيداً أن .....

وتوقف هنيهة ثم استأنف حديثه وقال : انك غلام طائش خفيف العقل فى بعض الاحيان ويجب أن تحذر . تذكر دائماً أننا جئنا مراكش الاسبانية بمهمة سلمية ولا ننتمي الى أحد الخصمين وعلينا أن نحافظ على الحياد بكل دقة . فاذا كان الريفيون يشكون مظالم الاسبان فان الاسبان يحاربون في سبيل المحافظة على مستعمرتهم الافريقية . ولهم في ذلك حق كما لانجلترا حق المحافظة على مستعمرة الساحل الذهبي . ان الامر لا يعنينا . ولا يجوز أن نميل الى أحد منهما . كذلك لا يجوز لنا أن نسفك قطرة من الدم أو ان نقاوم الريفيين أو الاسبان بقوة السلاح الا في حالة الدفاع عن حياتنا اذ نكون حينئذ على حق في مانفعله . وما أظن اننا نجد انفسنا فى حالة كهذه

فقال تنكر : ولكن « بن ابو » وعصابته ؟

فاجاب بليك : تلك مسألة أخرى « فبن ابو » وعصابته لصوص قتلة ولو اطلقنا النار عليهم وقتلنا بعضهم حينما هاجمونا لكنا على حق فيما نفعل وكان ذلك عدلا . أفهمت يا بني ؟ فلا تنس تحذيري هذا

ولم يغادر بليك وتنكر الشباك بل بقيا هناك والجوع والعطش قد أخذا منهما كل مأخذ وكانا يرقبان ما تحتهما وينتظران حلول الليل بفارغ الصبر

أخيراً مالت الشمس الى الافق فبرد الهواء وأخذ النسيم يهب عليلا ثم غابت الشمس واختفى شعاعها الذهبي في ثنيات الجو ولبست الطبيعة ثوبها القاتم وسادها السكون

وأوقد الجنود في الفناء تحتها ناراً واجتمعوا حولها ضباطاً وجنوداً ثم اخرجوا طعامهم واخذوا يأكلون بشهية عظيمة ويشربون باشتياق شديد

وكان الظلام حالكا وبنات آوى تعوي فى الادغال البعيدة والخيل تصهل منزعجة من عوائها

فقال بليك : هيا بنا فهذه احسن فرصة لنا فالظلام مخيم والجنود منهمكون بالعشاء . وبعد قليل يطلع القمر ويضع الجنود ديدبانا عند الخيل

(ستأتي البقية)

(المطبعة التجارية الكبرى بشارع عابدين حارة فايد رقم ٣)

في بلاد الريف

- ٤ -

فنزلا يتلمسان طريقهما في السلم اللولبي المظلم حتى وصلا الى أسفل البرج . وبعد أن جالا كثيراً في الاروقة والممرات وصلا الى فناء الحصن الكبير الذي أسرهما فيه المغاربة فوجدا فيه أشياء تركها هؤلاء حين فرارهم ففتشاها فلم يجدا سلاحا لكنهما سرا كثيراً اذ وجدا كيساً صغيراً من التمر رابريقاً من الماء . فشربا واكلا حتى ارتويا وشبعا ثم وضعا ما بقي من التمر في جيوبهما وسارا بقوة ونشاط فعبرا خرائب الحصن الخارجية ووصلا الى الممر المؤدي الى الحوض ورأيا الجوادين سائبين أحدهما بجانب الآخر . وكان على جانب الممر الى الجنوب هضاب صخرية والى الشمال الجدول الصغير الذي يصب في الحوض وهو يخرج من فم واد يمتد الى الشرق . والى اليمين الطريق والبوابة الموصلة الى الفناء حيث كان الكابتن هرمانوس وجنوده قد عسكروا للمبيت . وكان الفناء قريباً جداً حتى انهما كانا يريان الجنود يأكلون ويشربون وهم يضحكون ويقهقهون باصوات عالية اذ كانت خمر مراكش قد فعلت فعلها برؤوسهم

أما المكان فكان خالياً ليس فيه ديدبان وعليه فيجب أن لا يضيعا دقيقة لأن حافة القمر كانت بارزة من الافق ونور القمر في أفريقيا أقوى بكثير مما هو في البلدان الاخرى

فنظر بليك الى ما حوله هنيهة ثم قال بصوت منخفض : انتظرني هنا

فقال الغلام : احترس يا سيدي

فاشار بليك بالايجاب ثم ذهب يستره الظلام متسللا بين الخيل وهي ترعى وأخذ يربت أجنابها جواداً فجواداً . فلم تجفل منه بل صارت تتحرك وتفسح له الطريق فوصل الى حيث الجوادان الابيضان وكانهما عرفاه فلم ينفرا فقبض على أعنتهما برفق وعاد الى حيث كان تنكر ينتظره

وكان الجند جالسين الى الطعام وأصواتهم تملأ الفضاء

فقال تنكر : لو فعلت هذا ما فعلته أحسن منك يا سيدي

فتجاهل بليك ذلك وقال : اننا لا نصعد التل فقد تتدحرج بعض الحجارة السائبة من تحت أرجلنا وينتبه الجنود . نعم لا يجوز أن نجازف بذلك . بل يجب أن نسير شرقاً بحذاء

التلال وبعدما نبتعد مسافة نصعد الى قمتها ونتوجه جنوباً .

فقال تنكر : ونبحث عن الطريق المؤدية الى بلاد الريف

وقاد تنكر وبليك جواديهما وعبرا جدول الماء وسارا متجهين الى الوادي . وبعد أن قطعا مسافة التفتا الى الوراء فلم يريا أثرا للجنود الاسبانية

الفصل الثامن

سوء الحظ — فوق التلال — في نور القمر — انكشاف السر — الجنود تتعقبهما — المطاردة الطويلة — المغاربة تخلصهما — بين ايدي قبيلة ريفية — مقابلة الزعيم — التهمة — الانتظار المقلق — القائد حاجي بابا — الحكم بالموت

كان من المنتظر قبلما ينام الجنود الاسبان أن يوضع ديدبان في الممر ليحرس الخيل من اللصوص المغاربة . واذ لحظ الديدبان ان الجوادين الابيضين غير موجودين ظن انهما قد تاها فلم يزعج نفسه بالتفتيش عنهما لانهما ليسا للفصيلة

هذا ما زعمه بليك وتنكر فظنا انهما في أمان . خصوصا انهما قد قطعا مسافة بعيدة فلا خوف من مطاردتهما ومع ذلك فانهما حينما قفلا راجعين بجانب الوادي زادا احتراسا فصارا يسيران على الاماكن المكسوة بالعشب والطحلب الناميين على جانب الجدول

وبعد أن سارا مسافة في نور القمر وصلا الى حيث يضيق الوادي كثيراً ويصبح كالشق فلم يقدرا أن يمرا فالتفتا الى اليمين وابتداءا يصعدان منحدرا وعراً لا شجر فيه ولا نبات فتسلقاه بكل بطء واحتراس وهما يقودان الجوادين فوق الاماكن الصخرية ومع شدة احتراسهما حدث عندما صعدا نحو ثلثي المنحدر ما لم يكن بالحسبان

ذلك ان تنكر عثر وزلت رجله فدخلت بين حجرين كبيرين فاندفع احدهما يتدحرج ومع انه جازف بحياته لكي يمسكه فانه تدحرج بقوة وصدم صخراً عظيما فتحطم قطعا صغيرة أحدثت صوتا هائلا .

فقال الغلام : يا للأسف . ما العمل اذا سمع الجنود الصوت ؟

فقال تنكر : اظن انهم سمعوه فان بيننا وبينهم أقل من ميل واحد . ثم أخذا يسرعان وهما

يجران الجوادين الى ان وصلا الى قمة المنحدر فوقفا ينصتان ويرقبان ناحية خرائب الحصن القديم

وكانا يريان من مكانهما الفناء والنار . ثم رأيا أشخاصا تخرج جماعات من البوابة وسمعا بعد لحظة أصواتا تملأ الفضاء فعلما أن الجنود الاسبان قد رأوهما جليا في نور القمر الساطع وسمعوا صوت الحجر الساقط فاسرعوا الى البوابة

فقال بليك : انه سوء بختنا ولكننا بعيدان عنهم بمسافة ويجب أن نستفيد من ذلك .

فوثبا الى ظهر جواديهما وأعملا فيهما المهماز فعبرا قمة المنحدر ثم نزلا المنحدر الذي يليه وخرجا فاتجها جنوبا . وبعد أن ركض الجوادان بهما مسافة وقفا ينصتان فسمعا من بعيد صراخا شديداً ووقع حوافر كثيرة

وكانت الفرسان الاسبانية قد ركبت تطاردهما . ومن الاصوات التي سمعها بليك وتنكر علما أن الفرسان لم تسر في الوادي بل صعدت التل الذي وراء حوض الماء تماما وعليه فستراهما باسرع مما كانا ينتظران

فقال الغلام : لم أكن أنتظر ان تقتفي الفرسان أثرنا ياسيدي بل ظننت أنها تحسبنا شخصين من عصابة « بن ابو »

فأجاب بليك بكدر : لقد أخطأت في ظنك فان الجنود وجدت الجوادين الابيضين غير موجودين والكابتن هرمانوس شك أو عرف بدهائه اننا انا وانت قد هربنا من مليله وان الجوادين هما لنا واننا كنا مختبئين في الخرائب ننتظر فرصة للفرار

وبعد قليل ظهرت الفرسان الاسبانية على قمة التل وما كادت ترى بليك وتنكر جيداً حتى أطلقت الاعنة لجيادها وأخذت تجري في أثرهما . واذ كان بين الفرسان وبينهما مسافة غير قليلة وجيادها لم تستريح مدة كافية بينما الجوادان الابيضان قد استراحا يوماً كاملا ظن تنكر ان الفرسان تعجز عن اللحاق بهما فقال وهو جذل :

لا تقلق يا سيدي فان الفرسان غير قادرين على اللحاق بنا

فقال بليك : لا اعتقد ذلك فان جياد الخيالة الكبيرة تحتمل التعب اكثر من جوادينا الصغيرين وجلدها أعظم

فقال تنكر : أفتظن اذن اننا سوف نؤسر ؟

فاجاب بليك : نعم . ذلك ما أظنه والامل بنجاتنا ضعيف جدا ولكن لنأمل ولا نقنط فاذا سرنا مسافة بعيدة فربما عدل الاسبان عن مطاردتنا

ولا يخفى انهما لم يكونا يخافان على حياتهما لانه اذا لحق بهما الفرسان وأسروهما فكل ما في الامر انهم يعيدونهما الى مليلة ويجعلونهما تحت المراقبة ثم يرسلونهما باول باخرة تعبر البحر المتوسط الى انجلترا

ومع أن هذا كان غاية ما يمكن أن يحدث لهما فكانا يجتهدان بكل ما في وسعهما أن يعنما حدوثه لانه آخرة مخزية لسفرهما بل للمهمة التي أخذا على عاتقهما اتمامها في خدمة وزارة الخارجية

وفوق ذلك فاذا أمكنهما الافلات من يد الاسبان فلهما أمل عظيم بالوصول الى بلاد الريف حيث يجدان دك والس وحدود عبد الكريم لا تبعد عنهما أكثر من يومين .

واستمرت المطاردة مدة طويلة

وغير بليك وتنكر خط سيرهما من الجنوب الى الغرب الجنوبي ظناً منهما انه أسلم عاقبة وأخذا يسيران ميلا بعد آخر وساعة بعد أخرى تارة فوق التلال وأخرى بين الوهاد أو في براز قاحلة جرداء وهما يخوضان الجداول الصغيرة ويخترقان الادغال المشتبكة ويثبان فوق الصخور الكبيرة . وكان سيرهما تارة بسرعة المجازف وطورا بحذر المتأني .

ولم يمكنهما الاختفاء عن نظر الفرسان التي كانت تجري في أثرهما . ومع انهما بقيت مدة على مدى نصف ميل وراءهما فانها أخذت تدنو منهما شيئاً فشيئاً .

وبعد أن قطع بليك وتنكر نحو خمسة عشر ميلاً خرجا من واد ضيق الى أرض منبسطة فرأيا أمامهما على مسافة قريبة غابة صغيرة

فانعشت رؤيتها آمالها ورأيا فرصة للنجاة مع أن الفرسان كانوا قد أصبحوا على مدى نحو ثلاثمائة خطوة منهما . فاعملا المهماز في جواديهما وصرخا في اذانهما صراخ اليائس المستميت . ولم يكادا يقطعان الارض المنبسطة حتى رايا افواجاً افواجاً من الفرسان بثياب بيضاء يخرجون من أطراف الغابة . ثم انتشروا في خط طويل وظهرت وجوههم السمراء في نور القمر الساطع وأبرقت سيوفهم ويادقهم

فصرخ تنكر قائلا : لايمكن أن يكون هؤلاء عصابة « بن ابو » فانهم كثيرون . ترى من هم ؟

فاجاب بليك : أنهم ريفيون

فقال تنكر : نعم أظنهم كذلك وربما قتلونا . فما العمل ؟

فاجاب بليك : جرّ عنان جوادك . جره . اسرع !

فجرّا عنان جواديهما بكل قوة حتى كاد الجوادان يقلبان على كفليهما . ثم رفع بليك يديه الى فوق ونادى باعلى صوته : أننا أصدقاء . أننا أصدقاء .

ومرت بضع ثوان وهما في انتظار وجزع شديدين فان الفرسان اطبقوا عليهما من كل ناحية وطوقوهما وهم يصرخون صراخاً هائلا

فقال تنكر : يا للمصيبة . أن لبي يكاد يطير

ثم سمعا صوت بوق يملأ الفضاء . فالتفتا الى الوراء فابصرا الفرسان الاسبان قد وقفوا ثم داروا وطفقوا يجرون بكل سرعة متراجعين وقد تولاهم ذعر شديد

فتبعهم فرسان المغاربة وأخذوا يطاردونهم ويضيقون عليهم السبل حتى كادوا يدركونهم الا أنهم اكتفوا بان أطلقوا عليهم بضع طلقات نارية ثم عادوا أدراجهم ووقفوا على مقربة من بليك وتنكر

ولم يكن ثمة ريب في أن أولئك الفرسان كانوا من الريف وقد ابتعدوا عن بلادهم أميالا . ولولا الثياب التي كانوا يرتدونها لظن من رآهم أنهم من أهل أوروبا . ولا غرابة في ذلك فان المغاربة من الجيش الابيض وليسوا من أهالي أفريقيا

وكان قائد القوم رجلا طويل القامة تلوح على وجهه علامات النجابة ويدل مرآه على أنه قائد أو زعيم . فنظر الى بليك وتنكر هنيهة ثم سألهما بالاسبانية بخشونة :

من انتما ؟

فاجاب بليك : نحن سائحان انجليزيان .

فقال وهو مذهول : انجليزيان ؟ ألم تكونا من أعدائنا الاسبان ؟

فاجاب بليك : لم نكن منهم بل كانوا يطاردوننا

فقال القائد : ولكنكما متنكران بثياب وطنية فلماذا ؟

فقال بليك : السبب وجيه وهو طمعنا بسلامتنا فاننا ذاهبون الى ....

فقاطعه القائد قائلا : سأسمع قصتكما فى ما بعد فاحضرا لمقابلتي

ومع أن مقابلة هذا القائد لبليك وتنكر كانت في غاية من الفتور لم يريا مايدعو الى القلق فركبا معه ومع الفرسان وساروا في الارض المنبسطة الى أن وصلوا الى حدود غابة . وبعد أن اجتازوها وأبعدوا عنها نحو مائة خطوة نزلوا وتبطنوا منحدراً حتى وصلوا الى معسكر الريفيين

وكان مؤلفاً من عدة خيام قد ضربت فى أرض منبسطة على موازاة نهر عريض ذى تيار سريع . وتحقق بليك وتنكر أن ذلك المعسكر لم يكن معسكراً دائماً اذ لم يكن فيه نساء وأولاد ولا كلاب وماشية

وما كاد الفرسان يبلغون ذلك المعسكر حتى أطلقوا الخيل لترعى الكلا . وتفرق الرجال جماعات جماعات وأخذ بعضهم يجمعون الحطب والبعض الآخر يضعونه فوق النار التى كادت تهمد

وأشار القائد المغربي الى بليك وتنكر فسارا وراءه الى خيمته . ولما دخلاها أمرهما بالجلوس على بساط أمامه . ثم أمر فاحضر لهما طعام وشراب طبقاً لواجبات الضيافة عند العرب . فاكلا وشربا ثم قال لهما :

أنا القائد نصولى . وأنا واخي الاكبر حاجي بابا نحكم قبيلتنا بالاشتراك . ولا ريب في انكما تعلمان أننا نحارب تحت لواء الزعيم عبد الكريم فى سبيل استقلال بلادنا وقد جئت الآن الى حدود المنطقة الاسبانية لاستقى أخباراً لعبد الكريم . أما أخي فقد ذهب الى الشمال ليحارب العدو على مقربة من تافاروين على ساحل البحر . ويجب أن انضم اليه بعد ثلاثة أيام في نمياد التي هي عاصمة القبيلة

وتوقف هنيهة كانه يستجمع أفكاره ثم قال : تقولان أنكما انجليزيان ولكنكما تتكلمان الاسبانية جيداً كما اتكلمها أنا

فقال بليك : أن في انجلترا كثيرين يتكلمون اللغة الاسبانية جيداً

فقال القائد : ربما كان صحيحاً . ولكن ما الذي أتى بكما الى مراكش الاسبانية ؟

فقال بليك : أتينا الى هنا لنبحث عن صديق لنا انجليزي اسمه والس . وقد ذهب في مهمة ودية الى معسكر عبد الكريم

فقال القائد : انني لم أر هذا الشخص ولكني سمعت باسمه . ويظهر أنه مر بهذا المكان منذ بضعة أيام ولكن أين نزلتما الى البر وكيف اذن لكما الاسبان بالسفر في بلاد الريف ؟

فقال بليك : نزلنا الى البر فى ميناء مليلة وكاد الاسبان يقفوننا هناك لولا مساعدة صديق لنا من أهل البلاد فانه جهزنا بدليل وجوادين فتمكنا من الفرار من المدينة . على أن الدليل خاننا وسلمنا الى الشيخ بن ابو وعصابته الذين كانوا مزمعين أن يقتلونا لولم يدهمهم الفرسان الاسبان

فقال القائد : اذن انتما مرسلان من قبل حكومتكما لتعودا بصديقكما الانجليزي أليس كذلك ؟

فقال بليك : نعم هو كما تقول

— : وهل معكما أوراق تثبت ما تقولان ؟

— : أن أوراقنا سرقها بن ابو

— : ولماذا تبحثان عن صديقكما والس ؟

— : لنقنعه بالعودة معنا الى انجلترا

— : ولماذا تريدان أن تقنعاه بالعودة الى انجلترا وما هي مهمته في هذه البلاد ؟

— : هو مكاتب احدى الجرائد الكبيرة في لندن . ولا ريب أنه سيقابل الزعيم عبد الكريم . ولكن الحكومة البريطانية لا تستحسن عمله اذ لا مصلحة لها في الحرب بين الاسبان والريف

فقطب الزعيم وجهه حتى بدت أسارير جبينه وارتسمت عليه علامات الاستهزاء . فأدرك بليك أنه قد ارتكب خطأً بشرح مهمته بجلاء وبافراطه في الكلام

وعقب ذلك سكوت قصير كان القائد في اثنائه يمشط لحيته . وبعد هنيهة تكلم بشيء من الخشونة قائلا : انني لا أصدق ماتقولان . نعم انكما انجليزيان وقد تكونان صادقين في كلامكما عن رفيقكما الانجليزي . ولكني أرى أنكما جاسوسان قد استأجركما الاسبان . ولما رأينا كما لم تكونا هاربين من فرسانهم بل كنتما تتصنعان ذلك . ولم يكن فرسان الاسبان يطاردونكما بل بالعكس كانوا يحرسونكما في الطريق . وفي الواقع انكما ذاهبان الى بلاد الريف بايعازهم لتجمعا مايتيسر لكما من الاخبار وتعودا بها اليهم . وفي الوقت عينه تبحثان عن صديقكما الانجليزي لتعودا به خيفة أن يستصفيه عبد الكريم ويستكتبه مقالات في لندن للتأثير في الرأي الانجليزي واستمالة عطفه على الريفيين

وقد كان بليك ينتظر أن يسمع مثل تلك التهم من المغربي . فقال له بانفة : أقسم لك بشرفي أننا لسنا جواسيس وأن ما افضيت به اليك هو الحقيقة بعينها . لقد هربنا من الاسبان ولو قبضوا علينا لاعادونا الى مليلة ومنها الى انجلترا اذ عندهم أوامر من حكومة مدريد توجب عليهم أن يمنعونا من زيارة بلاد الريف . أما أوراقنا فكما قلت لك قد سرقها منا بن ابو الشيخ اللص . فهل تصدقنا الآن بعد أن قلنا لك الحقيقة ؟ وهل تضيفنا مدة في معسكرك كي نستريح ثم تدعنا نسافر الى بلادك لنبحث عن صديقنا في معسكر الزعيم عبد الكريم ؟

فهز القائد رأسه وقال : لن أسمح لكما أن تذهبا من هنا

فقال بليك وهو يرى أن لا فائدة من الالحاح : وماذا تريد أن تفعل بنا ؟

فاجاب القائد : يجب أن تبقيا هنا ولا تحاولا الفرار . انني لا أزال اعتقد انكما جاسوسان ومع ذلك ليس لي أن أحكم عليكما لان الحكم منوط باخي الاكبر

فقال بليك : اتعني انك ستذهب بنا الى عاصمتك؟ فقال نعم ستذهبان معي الى هناك ليراكما اخي فيقرر ما يفعل بكما . وليس لي كلام آخر فالافضل ان تذهبا وتناما لأننا سنسافر من هنا في الصباح

وفي أثناء الحديث كان اثنان من الرجال واقفين هنالك . واسر اليهما بضع كلمات باللغة العربية . فاشارا الى بليك ورفيقه فتبعاهما الى خيمة أخرى في وسط المعسكر . وبعد قليل جاءهما احد المغاربة باحرامين التفا بهما واضطجعا على الارض وقد أخذ منهما التعب والنعاس كل ما خذ

ولما اختليا قال تنكر :هذه مصيبة أخرى .الاسيران أولا . وابن ابو وعصابته السفاحة ثانياً والآن نحن في يد الريفيين . فماذا ترى يفعل بنا حاج بابا حينما نقف أمامه؟

فقال بليك : لا أعلم . وأخشى أن يمنعنا من مواصلة سفرنا للبحث عن والس . وربما أعادنا الى ...

فقاطعه تنكر قائلا : أترى ياسيدي ؟ ان القائد يعاملنا كالاسرى . فقد وضع على باب الخيمة ديدبانا مسلحاً

فتثاءب بليك وقال : أتركني ولا تضايقني بافكارك السوداء فاني أريد أن أنام

* * *

وفي فجر اليوم التالي نهض بليك فشعر بضجة عظيمة في المعسكر ثم علم ان القوم بعدان تناولوا طعام الفطور رفعوا خيامهم فحزموها استعداداً للرحيل . وما كادت الشمس تشرق حتى وثبوا الى ظهور جيادهم وساروا ومعهم الاسيران بليك وتنكر وهما راكبان جواديهما اللذين كانا من جياد الخيل

وظل المغاربة يسيرون سحابة ذلك اليوم غرباً جنوباً وهم يدورون حول الهضاب ليتجنبوا التلال الصعبة المرتقى

ومع ان القائد أخبر بليك بانهم قد اجتازوا حدود بلاد الريف فانه قال له أيضاً ان المكان الذى كانوا يقصدون اليه لم يكن قريباً من المنطقة التي يحتمل وجود عبد الكريم فيها

وكان القائد أنيس العشرة بشوش الوجه يحدثهما بكل لطف ورقة حتى أن مخاوفهما زالت .

ومع ذلك بقيا يتخوفان مما قد يحكم به القائد الأكبر فقد لا يصدق قصتهما فيأمر باعادتهما بحراسة رجاله الى الحدود الاسبانية ولا يسمح لهما حتى بجواديهما

وكانت هذه الفكرة تخيفهما : فاذا أرغما على العودة وفشلا في تأدية مهمتهما سقطا في نظر السر فرنسيس ترانت ولا يعذرهما ان أحوالاً قاهرة جعلتهما يخفقان

وفي مساء اليوم التالي وصل المغاربة الى سهل جميل ضربوا فيه خيامهم . فلما خلا بليك الى تنكر قال له : لا تقنط يابني فلربما اقنعنا حاج بابا

وفي منتصف اليوم الثالث وصلوا الى تمباد وهي قرية غير صغيرة الحجم واقعة في الوادي الذي اجتازه المغاربة متفرقين وعلى ضفة نهر يندفع فيه تيار قوى

وكان في تمباد نساء وأولاد وبنات — وكانت البنات نحيفات رشيقات القدود عليهن ثياب نظيفة ووجوههن كوجوه الاوروبيات . اما بيوت القرية فمبنية من الآجر (الطوب) المشوى بحرارة الشمس ومعظمها كبيرة واسعة الارجاء

وكانت الطيور كثيرة الاشكال والالوان تحوم على سطوح المنازل . وحول المنازل كلاب شرسة تحرس الطيور والماشية على أختلاف أنواعها

فسرّ بليك وتنكر بالمكان . ولكن القائد لم يسمح لهما بالتجول كثيراً . بل أمر فاخذا الى غرفة مفروشة تزينها السنائر والا بسطة المصنوعة من جلود الغنم . وكان على باب غرفتهما ديدبان مسلح وكان القائد نصولي يزورهما من وقت الى آخر . وكلما زارهما سألاه عن أخيه الاكبر فيقول لهما انه لم يصل بعد وانه ينتظر وصوله بعد ساعة . ولكن مر بهما ثلاثة أيام والقائد لم يصل . وفي اليوم الرابع بعد الظهر وصل هو وعسكره من الشمال فنبطنوا التلال منحدرين وتوجهوا الى ميدان العاصمة

ومع ان بليك وتنكر لم يرياهم حينما وصلوا الا ان شباك الغرفة لم يكن يطل على الميدان فانهما سمعا وقع حوافر الخيل ثم سمعا عويلا وبكاء شديدين . فعرفا معنى ذلك وعلما بأن الريفيين التقوا خصومهم وقاتلوهم ففقدوا بعضاً من رجالهم ولم يعودوا مع المعسكر . لذلك كانت النساء يصرخن على ازواجهن والأولاد يبكون على آبائهم

فقال تنكر : أخشى ان يكون القائد حزينا وفي حالة غضب شديد

فقال بليك وهو يحاول ان يخفي ما يساوره من القلق : نعم ولكن ربما سرى عنه قبل ان نقابله

ومرت ساعتان أو ثلاث فكادت الشمس تغيب وأبدل الديدبان الذي على الباب بغيره.

فسأله الاسيران عن آخر الاخبار فقال لهما ان قتالا شديداً دار في منطقة المدينة المسورة (نافا روين) فارتد جيش الريف بخسارة عظيمة ولقد كان العدو مستعداً تمام الاستعداد ومعه المدافع الرشاشة بكثرة. وهذه المدافع حصدت رجالنا كما ان مدافع البوارج الحربية التي في الميناء وقنابل الطيارات فتكت بالكثيرين . وقد فقد القائد ثلث رجاله وأصيب هو نفسه بجرح خطير

فسأله بليك : وهل كان القائد عبد الكريم ايضاً في المعركة

فاجاب المغربي: كلا ان عبد الكريم هو في معتقله بالجبل وقد ابل من مرضه من عهد قريب . والارجح انه لن يمر زمن طويل حتى يقوم بهجوم عظيم على الاسبان طمعاً باحراز نصر عظيم.

وفي هذه اللحظة دخل القائد نصولى ووجهه كئيب جداً وقال : لقد كلمت أخي الاكبر عنكما ورويت له كل ما قلتماه لي وهو مستعد ان يقابلكما . فارجو لكما الخير لانني قد صرت أشعر بميل اليكما وان كنتما في خدمة الاسبان . على أنني آخاف أن . . .

ثم توقف عن الكلام بغتة وبعد هنيهة خرج. وكان قد جاء باربعة من الرجال فساروا ببليك وتنكر مسافة قصيرة في وسط القرية حتى وصلوا الى منزل كبير بالقرب من النهر فدخله بليك وتنكر فوجدا القائد حاج بابا جالساً القرفصاء وحوله ستة من رجاله الشجعان . وكان الرجل ذا بنية قوية ولحية كثة وشاربين كبيرين وهو يشبه أخاه كثيراً . وذراعه معلقة الى عنقه وحول رأسه عصابة ملوثة بالدم . فلما وقفا أمامه نظر اليهما بعبوسة وهو ساكت بضع ثوان ثم قال : أذن انتما الانجليزيان اللذان استأجرهما الاسبان للتجسس

فاجابه بليك بهدوء ورباطة جأش : كلا ياسيدي لسنا جاسوسين

فقال القائد : لا أصدقكما

فقال بليك : هي الحقيقة . فاذا شئت ان تصغى . . .

فقاطعه القائد قائلا : لقد سمعت قصتكما من فم أخي ولا أريد ان أسمعها مرة ثانية فعبثا تضيعان الوقت .لقد كذبتما على القائد نصولى وأنا متأكد انكما جاسوسان ولذلك اراني مضطراً ان أحكم عليكما بالموت

فجفل بليك وقال : أتحكم علينا بالموت ؟

فاجابه حاج بابا : نعم بالموت

فقال بليك : ولكننا بريئان ونحن ذاهبان الى معسكر الزعيم عبد الكريم بمهمة ودية

فقال القائد : بل انتما جاسوسان تريدان الذهاب الى بلاد الريف والتوغل فيها لتجمعا

مايتيسر لكما من الاخبار لمصلحة اعدائنا . ولعله لولا ماحدث فى تافاروين لعفوت عنكما ولكن الاسبان لم يظهروا شيئاً من المروءة وكرم الاخلاق لان جنودهم أحاطوا بنفر من رجالي الذين ألقوا سلاحهم وسلموا أنفسهم يطلبون الامان . فذبحهم الاسبان بحد السيف وقد شاهدت ذلك بعيني .

وتوقف عن الكلام هنيهة ثم رفع ذراعه وأشار من الباب المفتوح الى الصخر الكبير الناتئ في النهر وقال : هناك موقع تنفيذ الحكم فيكما . فغداً عند الفجر تقفان على قمة ذلك الصخر فتطلق عليكما بعض طلقات نارية فتسقطان في الماء ويجرفكما التيار

فشعر بليك وتنكر بشيء من الوجل ولكن شجاعتهما لم تخنهما هنيهة . فسارا من حضرة القائد بين متنصبين ومناكب مرتفعة يحيط بهما بعض الرجال

ولم يذهبا الى البيت الذي كانا فيه بل سير بهما الى بيت أصغر ليس فيه سوى غرفة واحدة وهو فى جانب ميدان القرية

وأقيم على باب الغرفة حارسان . واجتمع في الخارج جمهور عظيم . ولكن لم يحدث شيء من المظاهرات العدائية وانما سمع بليك وتنكر خليطاً من الأصوات يشف بعضها عن الغضب وغيرها عن العطف لأن بعض القوم رأوا في حكم قائدهم شدة متناهية

الفصل التاسع

عند الفجر ـ الواصلون الجدد ـ في ميدان القرية ـ ذو العمامة الخضراء ـ بليك وتنكر يكتشفان مايذهلهما ـ النجاة من الموت ـ كافنديش دويل ـ أخبار من دك والس ـ كتاب عبد الكريم ـ السفر غرباً

تقلّب بليك وتنكر بضع ساعات تلك الليلة على بساطين من جلود الغنم وهما على أشد ما يكون من الخوف والاضطراب فلم يغمض لهما جفن ولا وجد النوم الى أعينهما سبيلا . وقبيل الفجر نهضا وهما يعلمان انه لم يبق من حياتهما الا بضع دقائق . وطرق أسماعهما صوت ضجة في الخارج ووقع حوافر خيل كثيرة . فأسرعا الى الشباك وأطلاّ على ميدان القرية فرأيا أهل القرية كلهم قد اجتمعوا في الساحة العمومية ليشاهدوا تنفيذ الحكم فيهما . وقد دنت تلك الساعة الرهيبة

على ان ذلك وحده لم يكن بالسبب الكافي لحدوث الجلبة والصياح ولا سيما ان أهل القرية كانوا يركضون هنا وهناك فيجتازون الميدان الى طرفه الغربي حيث كانت فصيلة من الفرسان تحاول عبور طريق ضيق

وكانت الفصيلة تسير خبباً وجيادها صغيرة الحجم كثة الشعر . وبعد قليل عبرت ذلك المضيق كله وخرجت الى الطرف المقابل من الميدان . وكان عدد رجالها نحو عشرين قد أحاط بهم جمهور كبير من الاهالي

ومع ان القوم كانوا من المغاربة فقد كانوا يختلفون عن الريفيين الذين من نمباد اذ كانوا طوال القامة ذوي بشرة قاتمة مدججين بالأسلحة وعليهم ثياب من نسيج أسمر خشن

وكان على رأس الفصيلة شخص ضخم الجثة ذو لحية مسترسلة وشخص ثان نحيف الجسم على رأسه عمامة خضراء

فقال تنكر لبليك : ترى من هؤلاء ؟

فأجابه بليك : لاشك انهم رجال بعض القبائل الهمجية التي تقيم بالجبال . ولكن ما الذي جاء بهم الى هنا في مثل هذه الساعة المبكرة ؟ لا أظن انهم قد حضروا ليشاهدوا تنفيذ الحكم فينا

وكان الرجل الضخم يصرخ بأعلى صوته كأنه يدعو أحداً والجمهور يعظم رويداً رويداً وينضم اليه الاولاد والرجال والكلاب تنبح راكضة هنا وهناك

وأخيراً ظهر القائدان الاخوان ـ حاج بابا ونصولي . ففسح لهما الناس الطريق حتى وصلا الى الفرسان

فأخرج الرجل ذو العمامة الخضراء ورقة من تحت طيلسانه وسلمها الى حاج بابا. وبعد ان قرأها هذا سلمها الى أخيه نصولي

ومهما تكن الاخبار فقد انتقلت من شفة الى شفة وانتشرت بسرعة البرق الخاطف . فازداد الصخب وعظمت الجلبة . ثم همز الرجل الصغير جواده وشق له طريقاً في وسط الجمهور وأخذ يسير نحو البيت الذي كان فيه صاحبانا الأسيران . فلما وصل ترجل وأمر أحد الحارسين بان يمسك بعنان جواده . ثم دفع الحارس الآخر جانباً وفتح الباب ودخل الغرفة التي فيها بليك وتنكر

فوقف أمامهما وذراعاه مثنيتان على صدره وهو عابس الوجه ومنظره يلقي في النفس رعباً وهلعاً . ثم قال بصوت يدل على منتهى الشراسة : أأنتما اذن الجاسوسان الكلبان اللذان قد

أعما كما ذهب الاسبان ؟ لقد فعل صديقي حاج بابا حسناً بأن حكم عليكما بالموت . وقد تركت حصني في الجبال وجئت لأحضر تنفيذ الحكم فيكما وأرى الرصاص يمزق أحشاءكما

ثم غصّ بالكلام فتوقف هنيهة كأن شيئاً قد وقف في حلقه . وبعد قليل أخذ يضحك بصوت عالٍ وهو يقول بالانجليزية : أيها الطائشان المجازفان . أنت يا بليك وغلامك العنيد ...

فصرخ بليك مذهولا : يا للآلهة ! هذا دويل . كافنديش دويل ! . . .

فقال الغلام : بكل تأكيد . هو هو يا سيدي !

وفي الواقع ان الرجل كان كافنديش دويل من المصلحة السرية البريطانية . ذلك الرجل الجريء الشجاع الذي يعرف كل زاوية من زوايا العالم ويتكلم كل لغة على وجه البسيطة وكثيراً ماشارك صديقيه بليك وتنكر في حوادث خطرة متعددة

فصافحهما دويل وهو لايزال يضحك . فضحكا هما أيضاً ضحك الفرح اذ علما ان دويل هو الذي قد أنقذ حياتهما بحيلته الواسعة

وسألاه تفاصيل الخبر بكل شوق ولهفة . فأخذ يقص عليهما قصته . ولكن الهياج العظيم في الخارج حال دون سماعهما اياها . وكان الميدان لايزال يموج بمن فيه من رجال ونساء وأولاد وجنود . وأصواتهم تملأ الفضاء وجمهور عظيم منهم لايزال محدقاً بالبيت الذي فيه الأسيران .

ولما هدأت الجلبة دخل القائدان المغربيان ـ حاج بابا وأخوه نصولي ـ وبادرا بليك وتنكر بالتحية وقبلاهما . ثم قال لهما حاج بابا :

لقد أخطأت بالحكم عليكما والحمد لله انني عرفت الحقيقة قبل فوات الفرصة . فقد جاءني كتاب من الزعيم عبد الكريم يقول ان قصتكما صحيحة . لذلك عفوت عنكما فأنتما منذالان من اخوتنا . فأرجو أن لاتحقدا علينا اذ كثيراً ماتخفى الحقيقة على ذوي البصائر النيرة

ثم خرج القائدان ومعهما كافنديش دويل . وبعد قليل عاد كافنديش ومعه المغربي الكبير ذو اللحية المسترسلة فعرفه بها باسم الشيخ حقار

ثم خرج الشيخ وفرسانه وانصرفوا فتفرق الجمهور المحتشد في الساحة . وبعد قليل حضرت بعض النساء ويحملن قصاعاً فيها لحم مسلوق وطعام لبليك وتنكر وصديقهما . وفي أثناء تناول الطعام كان كافنديش يروي قصته باختصار قال :

يجب قبل كل شيء أن تشكرا وزارة الخارجية البريطانية . فقد كنت في لندن حيث قابلت السر فرانسيس ترانت فأخبرني بان دك والس قد سافر الى بلاد الريف وبأنكما تبعتماه

من طليطلة بناء على الاوامر التي بعث بها اليكما . ثم اقترح عليّ أن ألحق بكما خوفاً من أن تصابا بأذى . فلبيت طلبه حالا وسافرت بالسكة الحديدية ثم ركبت طيارة فوصلت الى طنجه حيث قابلت صديقاً لي من الضباط الاسبان فبذل لي كل مساعدة وساعدني على السفر ليلا فركبت طيارة انزلتني في قلب بلاد الريف وكنت انوي السير الى تافا روين لعلمي بانكما لن تستطيعا مجاوزتها الى ابعد . ولكني اضطررت ان انزل بالقرب من هذه القرية وانا متنكر بثياب اهل البلاد . ثم دخلت القرية لاستأجر جواداً ودليلا فقبض على المغاربة وارسلوني الى معقل الزعيم عبد الكريم . وكان يومئذ في دور النقه من حمى قد انتابته . ووجدت دك والس ايضا هناك ولم تكن دهشته لرؤيتي اقل من دهشتكما . ولم يسىء الزعيم الى بشيء لان دك والس عرفه بي فابدى لي كل رعاية واكرام وعاملني بكل رقة . فقضيت عنده بضعة ايام وانا اتنسم اخباركما . ولما قطعت الامل من لقائكما عزمت ان اسافر . وبينما انا على اهبة السفر اذا رسول قد جاء من الشرق واخبر عبد الكريم بانكما اسيران في قبضة القائد حاج بابا بقرية تمباد . وقد بلغه انكما جاسوسان فاصبحت حياتكما في خطر

وكان ذلك منذ يومين فقط . فصممت ان اسعى لانقاذكما . وكان والس شديد الرغبة في المجيء معي ولكن عبد الكريم منعه خوفا عليه من بعض المتوحشين من اهل الجبال ولم يكن في وسعه ان يرسل معهم بعضاً من رجاله لحراسته لانه لا يستطيع ان يستغني عن احد منهم . على انه اذن لي في السفر وأعطاني كتاب توصية الى القائد حاج بابا اكد له به انكما لستما جاسوسين وامره بان يطلق سراحكما حالا

فحملت كتابه وسافرت على جناح السرعة ...

وتوقف كافنديش هنيهة ليشعل لفافة من التبغ بعد ان فرغ من الطعام ثم قال : ركبت جواداً سريعاً سار ينهب بي الارض نهباً ولم التق احداً إلا في صباح امس . وكنت قد قضيت الليل في غابة صغيرة فلما افقت في الصباح رأيت حولي جمهوراً من فرسان المغاربة ينظرون الى شزراً فاعترتني حيرة ولم ادر ماذا افعل . ولكن سري عني عندما علمت انهم فرسان الشيخ حقار وان الشيخ نفسه معهم ولعلك تذكر يا بليك ان الشيخ حقار هذا هو صديق قديم لي واننا سافرنا مرة معاً الى بلاد الحجاز . ولما رآني سلم علي وعانقني طويلا وهو يكاد يطير من الفرح . فاخبرته بقصتي وبخطتي فركب معي هو وفرسانه وجئنا الى هنا . والحمد لله اننا وصلنا قبل فوات الفرصة . يالله . تصورا شعوري عند ماسمعت بأنه قد حكم عليكما بالموت وانكما ستقتلان رمياً بالرصاص عند الفجر

(ستأتي البقية)

الاوراق المالية المصرية

الفرق بين اسعار اهمها فى شهر

	فى ٢٥ ابريل سنة ١٩٢٦	فى ٢٥ مايو سنة ١٩٢٦	
الموحد	٨٤ ٣/١٦	٨٢ ٧/١٦	جنيه
الممتاز	٧١ ٥/١٦		
البنك الاهلى	٣٦ ١١/١٦	٣٥ ٣/٤	»
» الزراعى	٧ ١٣/٣٢	٧ ٣٣/٦٤	»
الجزية ٣ ١/٢ فى المائة	٨٢	٨٣ ٧/١٦	»
» ٤ » »	٨٨ ١١/١٦	٩١ ٧/١٦	»
اسهم العقارى	٩١٩	٩١٧ ١/٢	فرنك
السندات الاولى	٥٧٩	٥٧٩	»
» الثانية	٣٥٨	٣٥١ ١/٢	»
» الثالثة	٣١٣	٣١٣	»
السويس ٥ بالمائة	٤٧٥	٤٨١	»
» ٣ »	٣٤٢ ١/٢	٣٥٠ ١/٢	»
هليوبوليس	٣٠٤	٢٩٣	»

المجلة الشهرية

فهرس الجزء الخامس (مايو) من السنة الثانية

صفحة		صور
٤٠١	بوبيل المقتطف الذهبي	١
٤٠٥	باستور ومقامهُ	٦
٤١٤	اطفال الناس تربيها الحيوانات	
٤١٦	هيكل دريدنوط	١
٤١٧	الغاء الطرق الدينية في تركيا	١
٤٢٢	العمر العقلي	٤
٤٢٦	النوم والارق	
٤٣٠	البن والدخان والملح	٣
٤٣٣	المهاجرة الالزامية	١٤
٤٤٦	البيض افضل غذاء	
٤٤٨	قيمة الرجل نقداً	٢

صفحة		صور
٤٥١	لصوص سكك الحديد في اميركا	٢
٤٥٦	الاعتمال او الاتكال على النفس	
٤٦٢	رواية اكتشاف الزجاج	٤
٤٦٧	غرائب كشف المجرمين	٨
٤٧٧	جمعية منع المسكرات	
٤٧٨	حادثة صغيرة وحرب كبيرة	١
٤٨٠	شاعر سوري اميركي	
٤٨٢	في الشعر الجاهلي	١
٤٨٦	كتب الشهر	
٤٩١	العالم في شهر	

فالمجموع ٢١ مقالة و ٤٨ صورة

﴿ المطبعة التجارية الكبرى بشارع عابدين حارة فايد رقم ٣ تليفون ٦١٠٩ ﴾

في بلاد الريف

— ٥ —

فقال بليك : لاشك ان هذه أعظم ورطة وقعنا فيها وكنا بالأمس قد قطعنا الأمل من الحياة . فنحن اذن لايمكن أن ننسى مافعلته

فقال كافنديش : لقد فعلت أنت معي مثل ذلك يابليك اذ خاطرت مرة بحياتك في سبيل انقاذي . أتذكر يوم خلصتني من أيدى القتلة في نابولي ؟ أتذكر الليلة التي تتبعتني فيها الى قرية أكلة لحوم البشر في بلاد الكونغو البلجيكية وانك خلصتني في الدقيقة التي كانوا مزمعين فيها أن يقطعوني ارباً ويضعوا لحمي في قدر للطبخ ولكن مالنا ولهذه الذكريات المحزنة . لنتحدث بما يسرنا . هل وقع لكما في أثناء سفركما شيء من الحوادث التي تستحق الذكر خلاف وقوعكما فى الاسر ؟

فهز بليك رأسه وملأ غليونه (بيبته) ثم أخذ يقص على كافنديش كل ماجرى له ولتنكر من الحوادث من يوم سفرهما من انجلترا الى يوم الحكم عليهما بالموت . ثم قال : ولو انك تأخرت ربع ساعة يا كافنديش لكانت جثتانا الآن عائمتين على النهر ينقاذفهما تياره

فقال كافنديش : الحمد لله على ان الخاتمة كانت خيراً . ويظهر لي اننا نحن الثلاثة لنا أرواح عديدة كأرواح الهررة . وقد نسيت أن أقول لكما اننا سنذهب الى معقل الامير عبد الكريم فقد أوصاني بأن أذهب بكما اليه وكتب الى القائد حاج بابا يأمره بأن يرسل معنا بضعة من رجاله لحراستنا

فقال بليك : حسناً . انني شديد الرغبة في الذهاب الى هناك وقد صدرت لي الأوامر من وزارة الخارجية بذلك وأظن ان السر فرنسيس ترانت قد زوّدك بأوامر مثلها

فقال كافنديش : نعم قد زودني بمثل تلك الاوامر لانه يخشى أن تفضي زيارة والس لزعماء الريف الى ارتخاء في العلائق بيننا وبين اسبانيا

فقال بليك : وما رأي والس في ذلك ؟

فقال : ان رأيه هو عين ماينتظر من دك والس . فهو يعتقد انه حرّ أن يفعل مايشاء وان عمله ليس فيه ضرر ما وانه مستعد للعودة متى حان وقت العودة ولن يعود قبل ذلك بدقيقة واحدة

فقال بليك : ولكن يجب أن نقنعه بالعودة معنا في الحال وبلا ابطاء

فأجاب كافنديش : لعله لايرفض العودة متى أوضحت له ذلك . ولكن هنا لك عراقيل تعترضه في سبيل عودته

— : عراقيل ؟ وما هي ؟

— : أولها ان الامير عبد الكريم مسرور بوجوده معه وقد تعلق به كثيراً وهو الذي يمنعه من الرجوع

— : وثانيها ؟

— : وثانيها ان في معقل عبد الكريم فتاة مغربية بارعة الجمال اسمها توريده

— : ولا شك ان والس يحبها ؟

— : كلا . لايحبها ولكنها هي التي تحبه وتسعى لاستبقائه هناك . هذه هي الحقيقة . وهذه الفتاة يجري في عروقها دم اسباني وهي ناعمة البشرة بارعة الجمال تتكلم الانجليزية جيداً وسنها لاتزيد على الثامنة عشرة . أما تاريخها فلا أعلم عنه شيئاً ولكن والس يقول انها يتيمة الوالدين وانها تقيم مع زوجة أحد الموظفين عند الامير

هذا وان ذهابكما معي مفيد جداً فلعلكما تستطيعان أن تضعا حداً لهذه الرواية الغرامية . ألا لعن الله النساء فقد أفقدتنا حواء الفردوس وهي تصر على أن نظل فاقدينه

ثم ضحك كافنديش وقام وهو يقول : سأذهب الآن لأقابل القائد حاج بابا وأتفق معه على السفر اذ ما من شيء يعوقنا هنا . واذا لم نتأخر فنستطيع الوصول الى معقل عبد الكريم غداً مساء

قال ذلك وذهب فقابل القائد حاج بابا . وبعد نصف ساعة عاد فركب هو وبليك وتنكر ومعهم اثنا عشر فارساً مغربياً وغادروا قرية نمباد قاصدين معقل عبد الكريم . وافترقوا عن الحاج بابا ونصولي على أتم ولاء وخرج الأهالي يشيعونهم بأصوات الفرح والهتاف

وولى أصحابنا وجوههم شطر الغرب وساروا في طريق وعر بين سلسلة من التلال

فقال بليك : أظن اننا سائرون في الطريق التي جئت أنت منها

فأجاب دويل : كلا فانني سرت جنوباً لأتجنب الاشتباك مع عصابات الريفيين لئلا أتأخر عن الوصول الى هنا في الوقت اللازم . ونحن الآن سائرون في طريق مستقيم في جزء من البلاد

كانت في أوقات مختلفة ميداناً لمعارك حربية كثيرة . ولا خوف علينا في هـذا الطريق الا من أمر واحد

فقال بليك : وما هو ؟

فأجاب دويل : الطيارات الاسبانية . فهي تحلق منذ مدة في جو هذه الناحية باحثة عن معقل عبد الكريم . ومع ذلك فقد لا تتعرض لنا

فهز بليك منكبيه غير مكترث للطيارات ولا مفكر في شيء سوى ماقد يقع له من الحوادث والأخطار

الفصل العاشر

البلاد العسكرية . اليوم الثاني . نذير الخطر . الطيارات الاسبانية . القاء القنابل . المدفع المستتر . الطيارة تطلق النار . الطيارة تتحطم . الضابط الاسباني يهرب . الوصول الى معقل عبد الكريم الحديث مع دك والس . توريده

ثبت لسكستن بليك ورفقائه بعد أن غادروا تمباد انهم قد أصبحوا في بلاد الريف الحقيقية. ومع ان هذه الجهة من البلاد كانت موحشة فقد كانت بعض الجنود الاسبانية تجوبها من حين الى آخر بقصد الاستكشاف

وكانت الطريق متشعبة ذات مسالك عديدة وجميع القرى محصنة والرعاة يحرسون المواشي وهم مسلحون . ولم يقابل أصحابنا أحداً في الطريق الا وهو مدجج بالسلاح

وكانوا يشاهدون هنا وهنا لك آثار المدافع التي كانت قد نصبت على التلال المشرفة على الطريق ورأوا غير مرة رجالا من القبائل يحرون مدافع جبلية لنصبها على القمم المتسلطة على الطرق

وفي المساء وصل أصحابنا الى قرية فباتوا فيها ثم ركبوا في صباح اليوم التالي واستأنفوا سيرهم فرأوا البلاد تختلف عن البلاد التي كانوا فيها بالأمس اذ كانت موحشة تكثر فيها الغابات وليس فيها أثر للسكان الا ناحية بعيدة رأوها مأهولة بقليل من الناس وكلهم مدججون بالاسلحة

وبلغوا عند الظهر جدولا خاضوه وانحدروا منه الى واد ضيق تكسوه أشجار غضة والى

شماله جبل عال أشبه بجرف هار . وبعد ان ساروا قليلا قال دويل : تذكرني هذه البلاد ببلاد الافغان المجاورة لولاية بشاور من جهة الهند

فقال بليك . هي أحسن ملجأ للحيوش اذ يسهل الاختباء بين هذه الصخور والشقوق ولا أظن القنابل تستطيع أن تؤثر فيها

فقاطعه تنكر قائلا : صه ! ماهذا ؟

فصغى الجميع فسمعوا صوتاً آتياً من بعد . فالتفتوا الى الوراء فأبصروا في الأفق طيارة اسبانية تطير وترتفع وهي متجهة نحوهم وأزيزها يزداد شيئاً فشيئاً . وكان الريفيون يرقبونها بشيء من القلق لانهم عرفوا بالاختبار ماتحمله الطيارات من أسباب الخراب والدمار . ثم أخذ الصوت يشتد ويقترب حتى ظهرت الطيارة للعيان . فدار أصحابنا يميناً وهمزوا جيادهم . فأخذت تركض بهم نحو التل المكسو بالاشجار ولكن وعورة الطريق أخرتهم كثيراً فلم يكادوا يبلغون منتصف الطريق حتى كانت الطيارة محلقة في الجو فوق رؤوسهم ولونها الازرق الرمادي يلمع في نور الشمس . ومع انها كانت مرتفعة كثيراً في الجو فقد تمكن راكبوها أن يروا بمنظارهم الاشخاص الذين تحتهم بثياب بيضاء يحاولون الفرار طلباً للنجاة

وبينما هم كذلك اذا شيء قد سقط من الطيارة وعقبه دويّ عظيم يصم الآذان . ذلك ان قنبلة القيت على مدى خمسين يرداً وراء بليك ورفاقه . فانفجرت وكان لانفجارها دويّ هائل وارتفع منها سحابة قاتمة من الدخان . ثم عقبتها قنبلة ثانية سقطت الى جانبهم وثالثة بالقرب منها ورابعة سقطت أمامهم

وأحدثت القنابل حفراً عظيمة في الارض واقتلعت عدداً من الاشجار

فالتفت دويل الى بليك وقال : أظن اننا قد نجونا من الخطر

فقال بليك : كلا . لم ننج بعد فقد ذهبت الطيارة ولكنها ستعود

وأصاب بليك في ظنه فان الطيارة عادت وأخذت تدور وتنحدر نحو الارض ثم انثنت في نصف دائرة من اليمين الى اليسار لتتمكن قنابلها من اصابة الهدف . فلما صارت في انحدارها على محاذاة قمة الجبل اذا النار قد اطلقت عليها فجأة من بين الصخور

وعقب ذلك عدة طلقات نارية ولهيب احمر كان يرتفع في الجو . ذلك ان مدفعاً رشاشاً كان منصوباً على قمة الجبل مخفي بين الصخور والريفيون يطلقونه . واستمر اطلاق النار من

غير انقطاع وكانت القنابل تتساقط حول الطيارة كوابل من المطر والطيارة تدور يميناً وشمالا على غير هدى وقد حاولت ان تغير خط سيرها قاصدة الفرار

واذ ذاك صرخ تنكر قائلا : لقد اصابوها ! لقد عطلوها !

ثم تطلع الجميع واذا الريفيون يصرخون من قمة الجبل فرحاً وسروراً والطيارة قد كسر أحد جناحيها فصارت تتهادى في الجو . ثم اندفع بها راكبوها يحاولون ان يصلوا الى قمة التل المكسو بالاشجار ولكن الطيارة كانت تترنح بهم كالسكران ثم انقلبت فجأة وهوت بسرعة الى اسفل فسقطت على الارض وتحطمت على أحد ور الوادى

فصرخ بليك : مساكين اولئك الركاب ! لا ريب انهم قد قتلوا !

فقال دويل : انظر ! لم يقتل أحد منهم

فنظر بليك واذا شخص يخلص نفسه من الطيارة المحطمة وكانت على مدى ربع ميل منهم وكان لابساً بزة ضابط اسباني . ثم أخذ هذا الشخص يركض يميناً ويساراً فدل ركضه على انه لم يكن قد اصيب بسوء . واذ ذاك أخذ فرسان الريفيين يطاردونه ويطلقون عليه وابلا من الرصاص . الا انه تملص منهم متوارياً بين الصخور . وأخيراً وصل الى سفح التل فتوارى بين اشجاره . فوقف الريفيون لا يدرون ماذا يفعلون . ثم سمعوا صوت خطوات تصعد التل فالتفتوا فرأوا الضابط من خلال الاشجار وقد جلس على صخر فوقهم . فتناول أحد الريفيين بندقيته وسددها نحوه . وما كاد يهم باطلاقها حتى مد بليك يده (وكان واقفاً بجانبه) وحول اصبعه عن الزناد وقال :

أعف عن عدوك فان العفو عند المقدرة من شيم الكرام

فقال الريفي : صدقت يا سيدي

ثم ذهب الاسباني وتوارى عن الابصار

عاد الريفيون بعد ذلك الى موضع الحادثة فنزلوا عن ظهور جيادهم واجتمعوا حول حطام الطيارة واذا الطيار ميت وجسمه عالق بالحطام

وفي الوقت عينه نزل بضعة أشخاص عن التل الصخري المقابل وأخذوا يسيرون بسرعة الى حيث حطام الطيارة وكانوا من أهل الجبال وعليهم ثياب من جلود الغنم وهم الذين كانوا يطلقون المدفع الرشاش من قمة التل . فعاينوا الطيارة باهتمام عظيم . ثم التفتوا فرأوا دويل وبليك والغلام تنكر فنظروا اليهم نظرة الريبة وبعد ان كلموهم باللغة العربية عادوا أدراجهم الى

مخباهم بين الصخور ليراقبوا الطيارات الاسبانية

وقبل ان وصلوا الى سفح الجبل كان اصحابنا قد امتطوا جيادهم وولوا وجوههم شطر الغرب وقد اقتنعوا مما شاهدوه بان امام الاسبان عدواً شديد البأس

ثم قال بليك لتنكر بصوت منخفض : هل عرفت يابني الضابط الاسباني ؟

فقال الغلام : وهل عرفته أنت ؟

فاجاب بليك : نعم فانه الكابتن هرمانوس بلا شك

فقال الغلام : نعم . وحسناً فعلت بانقاذ حياته . ولكن هل يسلم من ايدي الريفيين ياترى؟

فقال بليك : لا أظنه يسلم . والارجح انه سيقع أسيراً في أيديهم فيقتلونه

ثم أخذوا يجدون السير بقية النهار فوصلوا قبل الغروب الى طريق رملية على محاذاة نهر فساروا فيها مسافة ثم داروا جنوباً وابتدأوا يصعدون طريقاً وعرة حول الجبل

فقال دويل : لم يبق امامنا سوى مسافة قصيرة يا بليك فسنصل الى هناك قبل ان يخيم الظلام

ثم ساروا نحو ميل وهم يصعدون رويداً رويداً والحراس يقفونهم في ذلك المسلك الوعر من وقت الى آخر ويبادلونهم بضع كلمات ثم يدعونهم يمرون

ولما صاروا على ارتفاع عظيم وصلوا الى غابة من شجر الصبير فاجتازوها وداروا يساراً واذا بهم في منفرج واد مخصب تتخلله هضاب مكسوة بالاشجار . وكان ذلك المكان هو معقل الامير عبد الكريم . ورأوا امامهم جدولا يجري في وسط الوادي منساباً كالافعوان ينحدر من صخر الى صخر حتى يتصل بنهر في سفح الجبل والى جانبه بناء كبير امامه فناء واسع وعلى كثب منه عشرات من البيوت متفرقة بين اشجار الزيتون والدفلى

فترجل اصحابنا عن جيادهم واجتمع حولهم عدد غير قليل من حرس الامير عبد الكريم ومعهم نسوة وأولادهم في هرج ومرج

ثم ذهب الريفيون يقودون جياد اصحابنا الى ناحية ودخل هؤلاء فناء منزل الامير ومعهم بعض رجال الحرس . فقابلهم شخص حليق اللحية جميل الصورة طويل القامة قد لوحته الشمس فحياهم بحماسة .

وكان هذا الشخص هو دك والسن وكأنه في بيته وقد ارتدى الثياب المغربية وعليها رداء صيد قديم . فحيا اصحابنا وقال : مرحباً يا بليك ويا تنكر . اني لم ادهش عندما سمعت انكما

في مراكش فانك يا بليك دقيق حاسة الشم كالنسر . وكنت واثقاً بأنك اذا تلقيت كتابي فستقتفي أثري . وبان دويل سيخرجكما من تمباد مهما يكن الخطر المحدق بكما

فقال دويل : لقد كانا في أشد أنواع الخطر . ولو انني تأخرت ربع ساعة لقتلا رميا بالرصاص

فقال بليك : نعم فان الحاج بابا حكم علينا بالموت لاعتقاده اننا جاسوسان

فقال والس : لست اللومه على ذلك ولو كنت في مكانه لكنت ... وتوقف عن الكلام بغتة وهو يضحك . ثم سار بهم الى قاعة المنزل الكبيرة ومنها الى غرفة في احد جوانبه . وكانت الغرفة كبيرة ولها شبابيك وعليها زجاج وأرضها مفروشة بانواع الطنافس الثمينة واثاثها جميل وفيها وسائد كثيرة من الحرير والجلد

فقال بليك وهو مذهول : اهذه غرفتك ؟

فاشار والس بالايجاب وقال : هي غرفتي وغرفة دويل وسوف تشاركنا فيها انت وتنكر . وستنام انت على الطنافس والوسائد . اليس ذلك حسنا ! وسأقوم بنفسي بواجب الضيافة فانكما لن تستطيعا مقابلة الامير عبد الكريم حتى الصباح فقد اعتاد ان يبكر بالذهاب الى سريره منذ مرضه وقد اوصاني بان ارحب بكما باسمه

فقال بليك : يظهر انك قد استملت الامير يا دك

فقال دك : نعم فقد استحكمت المودة بيني وبينه

فقال بليك : ليس من الحكمة ان تجعله يشغف بك

فقال والس : ولماذا ؟ اهذا ما يخاف منه السر ترانت العزيز ؟

فهز بليك منكبيه كانه يقول : ليس من السهل ان تجعل دك والس يتكلم بجد

وكان الظلام قد بدأ يخيم . فدخل خادم وأنار القناديل المعلقة الى السقف ودخل بعده خدام يحملون الطعام والشراب . وبعد ان فرغ دك والس وأصحابه من العشاء تمددوا على الوسائد وأشعلوا غلايينهم (بيباتهم) فأخذ بليك يسرد قصته وأخبر والس بكل ماوقع له ولتنكر الى حين وصولها الى طليطلة . وكان والس يضحك من حين الى آخر وهو يسمع القصة ثم قال : —

انا اعلم انك دهشت لكتابي الذى تركته لك عند سباستان رويز ولذلك ساوضح لك

كل شيء . وقبل ان ابدأ بحديثي يجب ان تهنئني لانني قد خطبت دولورا اميجو وسنتزوج في الربيع القادم ان شاء الله

فقال بليك : ظننت ذلك منذ البدء . فاهنئك يادك واتمنى لك الهناء . ولكن قل لي شيئا عن اصحابك من الحزب الملكي

فقال دك : ليسوا أشراراً الى الحد الذى صورهم لك الدون اميجو فقد بالغ في التشنيع بهم

فقال بليك : الم يحاولوا ان يقتلوك ؟

فقال دك : لم تبلغ المسئلة هذا الحد . وكل مافي الامر انهم زاروني في الفندق وامروني بان أعدل عن زيارة بلاد الريف فرفضت وقلت لهم انني لا استطيع تلبية امرهم فدعوني الى منزل الكونت فيليب دي كوند لنبحث في الامر ولما رأوني مصراً على عزمي استلوا سيوفهم واعطوني منها سيفاً واقسموا أن يبارزوني واحداً فواحداً فنازلت الكونت أولا فاصبته في ذراعه فسقط سيفه من يده وشهد بأنني خبير بحمل السيف . ثم تركوني ومضوا لشأنهم

فقال بليك : الحمد لله على ذلك . لقد كنت أعلم ان الكونت دي كوند رجل شريف

فقال دك : وقد كان جميعهم كذلك لان الدم الاسباني يجري في عروقهم . على اني لم أرد أن أترك شيئاً لحكم الاتفاق وكنت اعتقد انهم سيتبعونني الى طليطلة ويختطفونني اذا استطاعوا ويضعونني فى باخرة تعود بي الى انجلترا . ويظهر لي مما اخبرتني الآن انني كنت مصيباً في رأيي هذا . ولذلك لم أبرح منزل الدون اميجو في تلك الليلة . وفي اليوم التالي استأجرت سيارة وانا أعلم بانك اذا تلقيت كتابي فستلحق بي الى مليلة . وقد أسفت بعدئذ لكتابتي ذلك الكتاب لانه أثار ما لا داعي اليه

فقال بليك : ان وزارة الخارجية تخشى أن تكون السبب في استرخاء العلاقات الودية بين انجلترا وأسبانيا

فقال دك : الى حيث . . . انني لست أعمل عملا مضر على الاطلاق فقد جئت الى هنا من قبل جريدة اليونيفرس لاكتب بعض المقالات وأرسم بعض الصور . وجميع المقالات التي قد بعثت بها حتى الآن كانت مكتوبة بروح الحياد

فقال بليك : قد يكون ذلك صحيحا . ولكن لا يجوز ان تكون هنا في ضيافة قائد الثوار المغاربة الذين يحاولون ان ينتزعوا من أسبانيا مستعمرتها الافريقية . فيجب ان تعود معنا باسرع ما يمكن

فقال دويل : هذا هو الصواب يا دك . فبليك وأنا تحت أوامر وزارة الخارجية كما تعلم فعليك ان تحزم أمتعتك وتودع صاحبك عبد الكريم

فصاح دك قائلا : وهل تظنان أني أفعل ذلك ؟ انني باق هنا اسبوعين آخرين او اكثر فعودا الى لندن وأخبرا السر ترانت بذلك وابلغاه شدة احترامي له ولكن قولا له انه ليس بيني وبينه أية علاقة وما دمت . . .

فقاطعه تنكر قائلا : يا للعجب ...

واذا فتاة نحيفة الجسم جميلة الصورة قد وقفت بالباب وبيدها حمل مربوط به شبل أسد وفهد وهما مقيدان بسلسلة من الذهب . وكانت الفتاة في نحو الثالثة عشرة ذات جمال ساحر وبشرة سمراء وعينين سوداوين وشعر مسترسل وعليها وشاح من حرير بنفسجي اللون واصل الى خصرها . وفوق صدرها « كرافاتة » وردية اللون

والتفتت الفتاة الى دك وسألته بالاسبانية بصوت عذب شجي : اهؤلاء هم أصحابك الانجليز يا دك ؟

فقال : نعم فان السنيور دويل ذهب الي نماد وجاء بهم الى هنا

فابتسمت الفتاة ولمعت أسنانها اللؤلؤية وقالت وهي تتفرس في بليك وتنكر : ما أغرب منظر هذين الرجلين ! لماذا لا يلبسان الثياب الاوربية وما هي هذه البقع السمراء التي على وجهيهما وهل تأذن لي في مخاطبتهما ؟

فقال دك : دعيهما الآن يا توريده فاننا مشغولون بالبحث في شؤون خاصة

فقالت الفتاة : وهل تسمحون لي أن أجلس وأصغي لحديثكم ؟

فقاب دك : كلا يابنيتي فاذهبي الآن

فترددت الفتاة وعبست ثم رشقت دك بنظرة من عينيها الدعجاوين وذهبت تقود الشبل والفهد

فعبس تنكر وقال : يا لها من فتاة وقحة

فضحك دويل وقال : ماذا جرى لك يا غلام ؟ ان البقع السمراء التي على وجهك . . .

فقاطعه بليك قائلا : حقاً انها فتاة جميلة ولكن يظهر انها خطرة

فاجابه دك بلهجة عدم الاكتراث : لا شيء من الخطر في توريده مطلقا والاميرعبدالكريم مغرم بها جداً

فقال بليك : وهل تعلم انك خطيب الفتاة الاسبانية ابنة الدون أميجو ؟

فاجاب : كلا

فقال بليك : لو كنت فى مكانك . . .

فقاطعه دك قائلا : ما اكثر نرثرتك . كفى . كفى

ثم أخرج من جيبه رزمة من ورق اللعب وقال : تعال الآن لنلهو باللعب قليلا

الفصل الحادى عشر

اليوم الثاني — دك والس لا يزال مصراً — الغداء مع عبد الكريم — ناقلو الاخبار السيئة — الاسير الاسباني — فرار الشيخ — بليك والكابتن هرمانوس — الحديث مع دك والس — التصميم الجريء

سرّ بليك وتنكر في صباح اليوم التالى اذ أعطيا ثيابا نظيفة من الحرير وتمكنا من غسل وجهيهما من الصباغ الاسمر . وعند وقت الافطار عاد بليك ودويل ففاتحا دك بحديث الامس . ولكن مساعيهما ذهبت أدراج الرياح فلم يفلحا باقناعه بالسفر معهما اذ لبث مصراً على البقاء خمسة عشر يوماً على الاقل في معقل الامير عبد الكريم . ولم تكن ثمة قوة في العالم تستطيع أن تزحزحه عن عزمه

فقال بليك : اننا لا نستطيع ان نكرهك على السفر ولكن ربما اذا أردت أنت من تلقاء نفسك تعذر عليك

فقال دك : وماذا تعنى ؟

فسكت بليك ولم يجب بشيء

ولكن دويل أجابه قائلا : أبحث عن المرأة يا دك

فرد عليه رداً قاسياً ثم سكت الجميع . وبعد قليل دعوا لمقابلة عبد الكريم فوجدوه رجلا متوسط السن ذكياً هادئا ذا شاربين خفيفين ولحية صغيرة

فحيا بليك والغلام تنكر تحية حسنة ورحب بهما وسأل دويل عن سفره الى تمباد . وبعد ذلك دعا الاربعة جميعا للغداء معه في غرفة فاخرة فيها ينبوع من الماء

وقبل الجلوس الى المائدة غسلوا أيديهم في آنية نحاسية فيها ماء معطر بالياسمين . ثم أكلوا لحم الخروف مشويا وحماماً محشواً وشربوا الشمبانيا بآنية من الفضة وقهوة معطرة بالعنبر ودخنوا السجائر المعطرة بالورد

وكان الأمير يتكلم والجميع يصغون الى حديثه ولم يشر الى الحرب بكلمة بل كان مدار كلامه جمال الطبيعة وعجائب باريس التي زارها مرتين . ولما همّ ضيوفه بالانصراف أعرب لهم عن شدة سروره بزيارتهم وارتياحه الى بقائهم عنده ماشاءوا على الرحب والسعة . ثم ودعهم قائلا : انني أشعر بميل اليكم لأنكم انجليز ولو لم تكونوا كذلك لكان الامر على خلاف ذلك لانني لاأحب من الاجانب سواكم

فلم يرتح بليك الى هذه المجاملة بل قال لدك والس بعد أن خرجوا : ان الصداقة اذا جاوزت الحد أضرت . والامثلة على ذلك كثيرة

فقال دك : اذا كنت تعني أن الشيخ يحجزنا عنده على الرغم منا فأنت مخطئ في زعمك اذ أي نفع له من ذلك ؟ ولماذا يحجزنا عنده ؟

فقال بليك : لاننا نعرف عنه مالا يعرفه أعداؤه وعلى الاقل نعرف طريق معقله الخفي . فليس من مصلحته اذن أن يطلق سراحنا

فقال دك : ولكنه يثق بنا ثقة عمياء ويعلم أننا لن نخونه بالانحياز الى الاسبان

فقال بليك : ربما كان الامر كذلك ولكن كثيراً ما يخفي المحمل الناعم مخالب من الفولاذ . وبقدر ماتطول اقامتنا بمعقله يصعب خروجنا منه

فقاطعه دك قائلا : اذا كان قصدك أن تستعجلني بالسفر فاعلم أن مهمتي لم تنته بعد

فقال بليك : حسن ولكن تذكر أني حذرتك وقد أعذر من أنذر

ومرت الايام وضيوف الأمير يتمتعون بالحرية التامة وينفقون وقتهم كما يشاؤون فكانوا يقضون الصباح في غرفتهم الجميلة حيث يكتب دك مقالاته لجريدة « اليونيفرس » ويجلس الآخرون فيدخنون ويتحدثون . وكان دك يذهب في عصر كل يوم ومعه آلة التصوير ليرسم ما يروق له من المناظر وكانت تؤيد ترافقه دائما . أما بليك ودويل وتنكر فكانوا يذهبون الى الوادي ومعهم بنادق اعارهم اياها الامير عبد الكريم فيصطادون الحجل والحمام

ولم يكونوا مرتاحين إلى استيثاق روابط الالفة بين دك والفتاة المغربية اذ كانوا يخشون أن تكون سببا في منع دك من العودة معهم وذلك لما كان لها من الدالة على عبد الكريم . اه

تنكر فكان يظهر انه يغار على الفتاة من دك وكان ذلك يسر بليك حتى انه قال له ذات يوم : لماذا لاتحاول ان تنتزعها من دك ؟

ولكن تنكر غضب وقال : لاشأن لي بها

فقال بليك: كنت احسبك كلفاً بها

فقال تنكر : أخطأت ياسيدي فان لون بشرتها اشد سواداً مما يطلبه ذوقي

* * *

وبعد أن مضى الشطر الاكبر من الاسبوع وقع حادث آل إلى ارتباك عظيم وإلى أمور لم تكن تخطر ببال بليك

وخلاصتها أن بليك ودويل عادا ذات يوم متأخرين من الصيد . ولم يكن تنكر قد ذهب معهما يومئذ . فعلما انه في أثناء غيابهما حضر بعض الغرباء الذين كانت علامات السفر الشاق تبدو على وجوههم . وبعد أن تناولوا الغداء جلسوا في حوش الدار لكي يستريحوا قليلا . وكانوا مدججين بالاسلحة ومرآهم يدل على الشراسة وقد جلس دك أمامهم يصورهم بقلم الرصاص وعلى مقربة منه تنكر وتوريده يرقبانه . وكان دك يصورهم وهو يكلم بليك ودويل قائلا: هؤلاء الرجال هم من الشمال وقد حضروا من خطوط القتال بالقرب من تافارين منذ ساعات . وقد كنت أنا والفتاة نرسم بعض الصور فجاءونا بأخبار سيئة مؤداها أنه وقعت معركة كبيرة بين الريفيين وأعدائهم . ومع ان الريفيين تمكنوا من المحافظة على مواقعهم فقد قتل منهم عدد ليس باليسير وجرح ابن اخت الامير واسمه رأس حلفا جروحاً عديدة . ولما كان الامير عبدالكريم يحبه كثيراً فقد أحزنه الخبر جداً واصبح هائجاً شديد الغضب . وليس ذلك كل مابلغنا من أنباء السوء فان ...

وتوقف هنيهة عن الكلام كانه يستجمع افكاره ثم قال :

لعلكم تذكرون الضابط الاسباني الذى نجا من حادثة الطيارة ؟

فقال بليك : نعم فما شأنه ؟

قال : لقد اسر والظاهر انه ضل الطريق ثم وصل إلى احدى القرى وهو منهوك القوى . فاسره أهل القرية وبعد ان لبث عندهم بضعة أيام جاء به بعضهم إلى هنا وقد وصل منذ نحو نصف ساعة وهو الآن عند الامير عبد الكريم

فقال بليك وقد أسف لما جرى : وماذا تظن ان الامير يفعل به ؟

فقال دك : لاجواب عن هذا السؤال يابليك والارجح انه سيأمر بقتله رمياً بالرصاص

فقال بليك : وهل الامير قاس إلى هذا الحد ؟

فقال دك : نعم هو قاس جداً في ساعة غضبه ومن سوء حظ هذا الضابط انه وقع في الاسر في الوقت الذي تلقى الامير فيه الاخبار السيئة

وكان دك والس لا يزال منهمكا بتصوير الرجال فترك بليك دويل وتنكر معه ودخل المنزل ولما وصل إلى القاعة الكبرى أبصر الضابط الاسباني وقد اخرج من حضرة الامير وهو جالس على مقعد

فدنا منه بليك وكلمه بالاسبانية التي لم يكن رجال القبائل يعرفونها وقال له : لقد ساءني جداً ماسمعته عما أصابك

فرفع الضابط وجهه الشاحب وتفرس هنيهة في بليك ثم قال وهو مذهول :

أهذا انت ياسنيور ؟ الست الرجل الانجليزي الذى ابلغتك أوامر الحاكم العام في فندق اسبانيول بمليلة ؟ كيف اتيح لك ان تكون في ضيافة الامير ؟

فقال بليك: نعم انا ضيفه . واني واثن كنت قد هربت من مليلة وسافرت الى بلاد الريف فلا تعدني عدواً لك

فقال الضابط : كلا ياسيدي لست احسبك عدواً لي بل بالعكس أنا مدين لك بحياتي فانني حينما تسلقت الجبل بعد حادثة الطيارة رأيت احد المغاربة يهم باطلاق النار علىّ وانت الذى منعته من ذلك فأشكرك شكراً جزيلا

فقال بليك : ذلك عمل صغير لايستحق الشكر ياحضرة الضابط فقد شعرت دقيقتئذ ان لك حقاً في الحياة . فدع عنك ذلك ولنتحدث في أمور اخرى مادامت الفرصة سانحة . لقد بلغني انك قابلت الامير عبد الكريم فماذا قال لك ؟

فهز الضابط منكبيه وقال : كان منهيجاً جداً فلم تبد منه اقل علامة على الرفق او الرحمة

فقال بليك : وهل حكم عليك بالموت ؟

فاجاب : كلا ولكني اظن انه سيفعل ذلك فقد بلغه أن ابن اخته رأس حلفا الذى كان يقود بعض القبائل الريفية بالقرب من تافارين قد أصيب بجروح بليغة وافهمنى انه إذا مات فسيامر بقتلى بالرصاص

فسأله بليك : وهل تعرف كيف حالة رأس حلفا وهل هو في خطر ؟

فأجاب الضابط : نعم هو في خطر وقد فهمت من الأمير عبدالكريم أنه مجروح في رأسه وصدره بشظايا قنبلة . انني لست جباناً ياسيدي فانني جندي والجندي يجب أن يتوقع الموت في كل ساعة . ولكن لي أسرة في أسبانيا مؤلفة من زوجة وولدين يعيشون في مدريد وهم أعز الناس اليّ في هذه الحياة ومن أجلهم فقط أحب الحياة ...

ثم غصّ من شدة الانفعال وجالت الدموع في عينيه . ولما هدأ روعه قليلا مسح دمعه بمنديله ثم سأل بليك قائلا : هل لك كلمة مسموعة عند الأمير ؟

فهز بليك رأسه وقال : لاأظنه يصغي لكلامي اذا طلبت منه العفو عنك

فقال الضابط : فلعلك اذن تستطيع أن تساعدني على الفرار اذا حكموا علي بالموت

فقال بليك : اذا وجدت سبيلا الى ذلك فلن أتأخر عن مساعدتك . ولكني لا أظن في فرارك نجاة لك فانك لن تسير مسافة قصيرة حتى تؤسر ثانية

فقال الضابط : لا أظن انني اؤسر ثانية اذا سنحت لي الفرصة للفرار فاني أعرف هذه البلاد جيداً

فقال بليك : ولكن اذا فررت فلن تستطيع أن تذهب ماشيا . والطريق التي تؤدي الى الوادي والنهر ملأى بجنود عبد الكريم

فقال الضابط : أستطيع أن اتجنبهم بكل سهولة فانزل زحفاً الى الوادي وأعبر الجدول سباحة وفي أقل من يوم أصبح بمأمن من الأخطار وربما رأتني احدى الطيارات فالتقطتني . وعلى كل حال أرجو منك ياسيدي أن لاتنسى و ...

وانقطع عن الحديث فجأة اذ خرج رجلان من الحرس من غرفة الامير الخاصة فلما أبصرا بليك عبسا ثم التفتا الى رجال القبائل فاعطياهم نقوداً وأمراهم بالأنصراف . وما كاد هؤلاء ينصرفون حتى أمسكا بالضابط الاسباني وانطلقا به

وكان الظلام قد أخذ يسدل ستاره والخدام ينيرون القناديل في المنزل . فذهب بليك الى غرفته وجلس هنالك الى أن أتى رفاقه فاخبرهم بما قال له الضابط الاسباني

فتباحثوا في الامر ملياً فاستقر رأيهم على أن لايحجموا عما هو واجب عليهم فانهم وان كانوا من شعب على الحياد وهم ضيوف عبد الكريم فاذا حكم على الضابط الاسباني بالموت فيجب أن يسعوا لانقاذ حياته بكل الوسائل الممكنة

فقال دويل : نعم يجب ان نفعل ذلك كيفما كان الامر

فأجاب بليك : مهلا . يجب أن لانخاطر بشيء اذا قدرنا . انك يادك صديق الامير عبدالكريم فلعله يقبل شفاعتك في الضابط

فقال دك : أنه لايقبلها أبداً . فأنبذوا هذا الرأي جانبا لانني اذا كلمته هاج وماج فانه يحقد على الأسبان حقداً عظيما ويكرههم كرها شديداً . لذلك لا أجرؤ أن أفاتحه فى هذا الشأن

فقال بليك : اذن لنترك عبد الكريم ولنحاول أن نخلص الضابط بأنفسنا اذا لزم ذلك ولكن يجب أن نخلصه بطريق لاتثير بنا الشبهات

فقال دك : أظن أننا لسنطيع أن ندبر ذلك اذ لن يكون على الضابط حراس كثيرون . وأظن أنهم قد حبسوه فى احدى الحجر التي في مؤخرة المنزل ولا أظنه مقيداً بالسلاسل وقد رأيت هذه الحجر ولكل منها كوة صغيرة في سقفها . ولست أظن الضابط في خطر الا ن فاذا وقع الخطر فنساعده على الفرار من دون أن يشعر بنا أحد

فقال دويل : نعم يجب أن نفعل ذلك ثم نزايل هذا المكان حالا

فقال بليك : وأنا أيضا أوافق على هذا الرأي ولكن هل يدعنا الامير نرحل؟

فقال دك : لا تقلقوا فان الامير لن يمنعنا من السفر ولكن توريده ستستاء جداً لانها لا تريد أن نسافر

فقال بليك : أنا أعلم أنها لاتريد ولكن يجب أن نخبرها بأنك قد خطبت فتاة أسبانية وستتزوجها

فقال دك : لم أخبرها بهذا الامر حتى الآن ولا أعلم كيف تتلقى هذا الخبر .

فقال بليك : اذن أنت أجهل انسان عرفته . وأرى أنك سوف توقعنا في مأزق حرج

الفصل الثاني عشر

القلق ـ الشبح في الليل ـ موت رأس حلفا ـ دك والس يأتي بأخبار ـ الضابط الاسباني ـ السعي لتخليصه ـ نجاته ـ مطاردته ـ ضيوف الامير يستعدون للسفر ـ في بستان النخيل ـ والس والفتاة ـ منظر تمثيلي

في مساء ذلك اليوم سافر رجال القبائل الى بلادهم وفي فجر اليوم التالي ركب الرجال الستة الذين أتوا بالاخبار السيئة متجهين الى الشمال

وكان قصر عبد الكريم طول ذلك النهار هادئاً . ولزم الأمير غرفته ولم يخرج ضيوفه من المنزل خوفاً من أن يقع في أثناء غيابهم مايخشونه

ولبثوا ينظرون وصول الأنباء من ساحة القتال . وهي الأنباء التي يتعلق عليها حظ الضابط هرمابوس فاما الموت وإما الحياة .

وظل أصحابنا يدخنون وهم صامتون وكانت توريده تروح وتجيء وهي تقود شيل الاسد والفهد وتقف بين آن وآن لتخاطب ذلك بصوتها الشجي وبين شفتيها سجارة ذات رائحة شذية

وانقضى النهار وأقبل الظلام . وبعد المغرب بساعتين سمع القوم صوتاً آتياً من جهة الوادي فانصتر واذا هو وقع حوافر جواد كان يدنو شيئاً فشيئاً ثم انجلى الصوت عن فارس قادم على جناح السرعة فهرع بضعة من رجال الحرس لمقابلته . وما هي الا هنيهة حتى قدم الفارس ومر أمام بليك وأصحابه وكان ممتطياً حواداً أشهب ومتشحاً ببرنس أبيض . وحدق دويل اليه فقرأ في وجهه أخباراً سيئة وقال لأصحابه : لاشك ان ابن أخت عبد الكريم قد مات . فأمن الجميع على كلامه . وحدث اذ ذاك هرج عظيم . ودخل القادم غرفة الامير وبعد أن لبث في حضرته بضع دقائق خرج وهو عابس مقطب الجبين ثم سار الى فناء القصر ليتعشى ويقضي ليلته .

وبعد قليل هدأت الضجة فنهض دك واتجه الى مقر الخدم ـ وكان على أتم الولاء معهم ـ ليستطلع جلية الخبر . وبعد ربع ساعة عاد الى أصحابه وقد امتقع وجهه وقال لهم : لقد مات رأس حلفا من جراحه فأثار موته غضب عبد الكريم فأصدر الامر بقتل الضابط الاسباني عند طلوع الفجر

فصاح دويل : يالله المصيبة ! اني سأبذل حياتي في سبيل انقاذه . فسأذهب تواً الى الامير ...

فقاطعه بليك قائلا : لن تفعل ذلك أبداً فانك تجني عليك وعلينا وعلى الضابط الاسباني . والأفضل أن ننظر في طريقة أخرى لانقاذ ذلك المسكين مع انني لا أعلم حتى مقره في هذه الدقيقة

فقال دك : أنا أعرف مقره فهو في احدى الحجر التي في مؤخرة هذا المنزل وقد تسللت الى هناك في جنح الظلام فأبصرته جالساً في حجرته موثق اليدين ولكني لم أكلمه بكلمة خيفة أن يسمعني أحد . ومن حسن الحظ انه لم يرني . وعلى كل ففي امكاننا أن نساعده على الفرار

فقال بليك : هل تقصد اننا نستطيع أن نساعده على الفرار من طريق النافذة ؟

قال : نعم

(سنأتي البقية)